هؤلاء والحديث مع الله واعترافات الحكيم



أحمد الأسوانى

إهـــــــداء2005

ا/ محمد علي يوسف

جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

الى روح ولى الله ... جدى السيد العارف بربه .. عـلاء الدين النجـار الحسينى الجعفرى الهاشمي ..

والى روح ابنتـه الطـاهـرة .. امى الحبيبة .. التى غابت عنى يوم فارقت الحياة الدنيا الى الرفيق الأعلى منذ مرحلة الصبا ..

الى الأم البتول حبيبة الرحمن .. الى امى التى توجتنى بدعائها الخالد فى كلمات مأثورة .. اسجلها فى كتابى .. كما سجلها فؤادى وحفظها .. كلمات كان ينطق بها لسان حالها : « روح يابنىمع السلامة ، ربنا يكتب لك فى كل طريق سلام ، ويقوى الله حزامك ـ اى يشد من ازرك ـ ويجعل كل الناس حبانك ـ اى احبابك ـ ويدفع الله عنك شر اعدائك ، ويكف عنك عين الحسود ، وسطوة الظالم ، وكيد الصديق » .

فدعاؤها .. يارب من نورك .. وكيف لا .. وقد قلت يارب .. وبالوالدين احسانا .. ورضاهما من رضـاك .. وسخطهما من سخطك .. فبحق هذا الدعاء اتوسل اليك يارب .. الا تحرمنى سره ، ولا تحجبنى عن

امى .. المثل والنموذج لكل الأمهات والآباء فى تربية الأبناء .. ولتكن هذه الكلمات المأثورة هى الدعاء .. وهى الرابطة الروحية بين الأبناء وآبائهم .

وما هى الا حياتنا الدنيا نموت واليه المرجع والمصير .. فالى كل ابن اذكره بقول الله سبحانه « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا . فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما »[1] .

« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما ، كما ربيانى صغيرا »[2]
(صدق الله العظيم)

ونعوذ بك يارب من سوء المنقلب ، ونسألك ياربّاه حسن الختام □

لمسة وفاء من :

« ابن .. لأمه الراحلة »

(١) الآية ٢٢ سورة الاسراء

(٢) الآية ٢٣ سورة الاسراء

الفصل الأول

مقدمة :

نصيحة للرأى الآخر
انصروا الحكيم ظالما ؟ !

عجبا ما صنع الحكيم فى نهاية المطاف لسياحته الفكرية ، وفلسفته فى الحياة ، وقد حكم على رحلته الطويلة الشاقة مع القلم بالندم وطلب المغفرة والتوبة .. من عمر قضى بجده وهزله وما فعل خيرا ..

وياليت ذلك فقط .. كان الاتجاه وحسن الطوية والنوايا ، دون ان تمتد رحلته مع قلمه خارج هذه الحدود المشروعة ، والتى هى امل كل مسلم .. يناجى ربه بها .

ولكن الحكيم قد خرج عن هذه الحدود فسقط ، وحاول اصابة صرح هذا الدين الشامخ ، لينال من امره شيئا .. ولتكون الخاتمة له كما شاء ذلك لنفسه .

ولكن شموخ هذا الدين اقوى من قلم الحكيم ، وفكره المحدود ..

وكمسلم غيور على دينه اسجل هذه الدعوة لوقف هذا التيار وذلك الفكر المضاد ..

واناشدكم ايقاف (الحديث مع الله .. ثم الى الله ..) لتوفيق الحكيم .. فامره جد خطير ، والخطورة ليست فى بدايته او استمرار الحكيم فيه فحسب ، وانما الخطورة الأشد هى : ان يعمل الحكيم .. احصائية لحلقات الحديث ، ويجمعها بعد نشرها . ليدونها فى كتاب كعادته المتبعة ، ثم يحوله المغرضون لفيلم سينمائى .

ومن هنا تأتى الخطورة ، بل الطامة الكبرى .. ذلك ان الكلمة المسموعة اسرع اثرا واشد تأثيرا فى نفوس المشاهدين .. عنها من الكلمة المكتوبة اوالمقروءة بالعين المجردة .. اذ يقتصر تأثيرها على القارىء المثقف او المفكر الفيلسوف المهتم بهذا اللون من تلك الكتابات وهذا الفكر المبتدع .

اما الكلمة المسموعة والمقترنة بمشاهد مرئية على شاشة السينما والتليفزيون فتأثيرها يمتد الى المشاهدين وهم عادة خليط بين

الانسان الجاهل والأمي ، وبين المثقف المفكر او الناقد .

وحذار ان يمتد هذا الخطر الى جمهرة المسلمين وعامتهم ، وان ينفذ ما كتبه الحكيم من افتراءات واضاليل خادعة من نوافذ الرواية والقصة التي شاركت في معظمها في فساد اجيال من الشباب وغيرهم .. كما ساهمت في تعطيل العقول عن البحث والقراءة والتعلم الدائب المستمر .. طالما هناك امثال الحكيم وانصاره الذين يزينون له بدعته بمقولة انها فكر جديد من مفكر عملاق ! !

وطالما هؤلاء يحتكرون الفكر ، ويجدون لأنفسهم قنوات تنشر فكرهم ايا كان هذا الفكر وضرره ونفعه .. بحجة انها رؤية جديدة للمشاكل في صورة مبسطة للمواد العلمية والثقافية بمعالجات لمشاكل مجتمع يعاني منها الناس في يومهم وغدهم .. وياليتهم كذلك .

واذا كانت الفرصة قد سنحت لهؤلاء فحسب .. اذن فلابد امام تيار هذا الفكر الجديد .. ان تموت عقول العقلاء ! !

ولا لوم على الأديب توفيق الحكيم فيما كتبه ، بقدر ما تقع المسئولية على اجهزة الاعلام التي تحتضن فكره .. وفي مقدمتها الأهرام .. ونتساءل ..

كم من أراء وموضوعات تمس حاجة الناس ، وتعالج مشاكل مجتمع بأثره .. ويرمى بها في سلة المهملات .. مجاملة لصديق او مسئول ؟ ؟

فما بالكم بما يمس حرمة ديننا وقدسيته ! ! .. وما بالنا والأهرام هو الذى نشر حلقات الحديث اما عفوا او تجاهلا .. او تحديا لمشاعر المجتمع الاسلامي ! ! ؟

فعلى من يقع وزر ما حدث ؟

هل على كاتب هذه الحلقات أم مسئولية الناشر ؟

وكفى يا اولى الألباب ان اسديكم النصح .. فالى الكاتب توفيق الحكيم والرأى الآخر .. اذكرهم بالحديث النبوى الوارد في صحيح البخارى :

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « انصر أخاك ظالما او مظلوما ، قالوا : يارسول الله : علمنا كيف ننصره مظلوما ؟ .. فكيف ننصره ظالما ؟ قال : ان تأخذ على يده .. اى تمنعه عن الظلم »

حديث شريف

وبعد ..

فهذه عجالة سريعة .. يعرضها كتابى هذا .. ويتعرض ايضا فى موضوعية لحديث الحكيم مع الله .. من خلال ردود وآراء كبار علماء الدين بالأزهر الشريف ، وكبار الكتاب والمفكرين الاسلاميين .. وفى مقدمتهم فضيلة العالم الجليل والمفكر الاسلامى الشيخ محمد متولى الشعراوى ، وفضيلة الشيخ محمد الغزالى ، والأستاذان عمر التلمسانى ، واحمد بهجت وغيرهم

تناولوا منذ البداية رواية .. الحديث مع الله .. ثم الى الله .. بالأدلة والبراهين النقلية والعقلية ، والنقد البناء .. التى يبين منها كشف الحقيقة ، ووضوح الرؤية فيما ذهب اليه استاذنا الأديب المفكر .. توفيق الحكيم .. والتى تدعو الى رفض المثلية لله ... حتى لو كانت هذه المثلية تخيلا وافتراضا .. كما زعم الكاتب الحكيم ، وتنزه الله سبحانه وتعالى عن ذلك .

وتؤكد ـ ايضا ـ هذه الآراء ان الأنبياء معصومون من الزلل الفاحش والخطايا .. لأن الله اختارهم لرسالة التوحيد اطهاراً اصفياء . وصدق الله العظيم إذ يقول فى كتابه الكريم : « ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم »[1]

الحجة على الراوى وليس الرواية حجة

ومن هذا يبين ان الحجة على الراوى ، وليست رواية التفاسير حجة على المسلم .

وان ما ذهب اليه الحكيم من استدلال اعتمادا على تفاسير وردت فى تفسير القرطبى بالذات .. للتدليل على صدق روايته وحديثه ، فهى تفاسير دخيلة ، وربما تكون ضعيفة السند موضوعة .. تتنافى مع مقام نبى الله يوسف عليه السلام ـ المعصوم ، ولا يؤخذ بها فى ديننا الحنيف صونا وحماية لعصمة الأنبياء والرسل الكرام فى الأرض ، من زيف التشكيك والحملات المعادية ، والحرب الشيوعية الضروس على هذا الدين .

ومن ناحية اخرى : لو سلمنا جدلا ان التفاسير التى اتى بها الحكيم دليلا لحديثه وروايته .. هى تفاسير وردت على لسان مفسريها الأجلاء فى سالف الزمان ، والحجة على الراوى ، لكنها تفاسير لا ترقى الى مرتبة الحجية الصحيحة فى الاسلام . لعدم قبول عقول العقلاء لها .. حيث لا تقبل النفوس المؤمنة ان يقال : عن نبى معصوم رأى فى الدين « جلس منها مجلس الرجل .. او خلع سراويله » بالاضافة الى ورود لفظ « قيل كثيرا » فى التفاسير التى ساقها الحكيم .. تفيد ضعف الرواية والرواة . كما ان المنطق والعقل السليم والدين يرفض ذلك تماما .. لأن هذه المعصية من الكبائر المحرمة حتى على الرجل العادى ، وقد امرت كل الشرائع السماوية بتحريمها واقامة الحد على مرتكبها ، واكد اجماع السلف الصالح واجتهاد المجتهدين من علماء هذه الأمة قديما وحديثا .. على تحريم هذه المعصية تحريما مطلقا ، وامتد امر هذا التحريم الى انه لا يجوز الاباحة او الكشف عن سوءة فاعلها ، كما لا يجوز نشرها بين الناس ، وذلك لحكمة شرعية مفادها التستر على مرتكبها ما امكن وحفاظا على تماسك المجتمع المسلم من افشاء هذه الفاحشة .. حتى لو ثبت فعلها بشروطها الشرعية لاقامة الحد على صاحبها .. فلا يجوز تناقلها بين الناس .. والا دخل امرها فى المحظور شرعا وهو من باب اشاعة الفاحشة بين المجتمع المسلم .. وقد حرم الله ذلك .. وكان من فعل ذلك تناقلا او نشرا .. فانه آثم قلبه .

والله يحذر هؤلاء النقلة لهذه الفاحشة والتفاخر بها كما يحدث اليوم من الشباب وغيرهم ، بقوله تعالى فى كتابه الخالد الكريم :

ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون »[٢]

فما بالنا بالنبى المعصوم يوسف عليه السلام .. المفترى عليه ؟ ! !

وما بال كاتب مسلم ومفكر عملاق .. كالحكيم .. ان يكون رأيه فى التدليل المنقول فى نبى من انبياء الله كهذا ؟ !

وكنا نود ان تكون رحلة قلمه وسياحته الفكرية .. فيما حل به من مصيبة بفقد ابنه الوحيد .. عزاء .. هو ان يتحدث عن الصبر دليلا واستدلالا وعقيدة واعتقادا وابرازا لعظمة الخالق وقدرته يوم ان تحل المنية بالمخلوق ولا مدافع عنها .. حتى لو كان الراحل عن هذه الحياة الدنيا عزيزا علينا وعلى استاذنا الحكيم فى عزائه لابنه ، وحتى يأتى الدليل ، والاستدلال علامة بارزة على صدق محبة الحكيم لربه ، ليكون حديثا صادقا مع ضميره ونفسه ، وروايته مخلصة لدينه .. يضيف بها لنفسه رصيدا ايمانيا .. وليضفى على المجتمع الاسلامى بصبره على مصيبة فقد ولده معالجات نفسية ، ولمسات انسانية يعلم من خلالها المسلم .. كيف يصبر ويحتمل الصدمات فى مثل هذه الحالة وغيرها .. ليدخل بذلك الحكيم فى نطاق المناجاة مع الله حقا .. ولتشفع له روايته وحواره .. يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم » ..

اللهم قد بلغت .. اللهم فاشهد ..

والله الموفق .. وعلى الله قصد السبيل ..

المؤلف

مصر الجديدة فى ٣ مارس عام ١٩٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ تمهيد ـ

فلسفة صادقة :

توفيق الحكيم .. تجاوزت الثمانين من عمرى .. حاملا قلمى اهيم به فى كل واد املأ به الأوراق بين جد وهزل .. وما اظن انى فعلت خيرا

★★★★

حكمة بالغة

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة »

حديث شريف

ومن هنا نبدأ .. اذا كان قد آن الأوان للكاتب العملاق بعد مضى اكثر من الثمانين من عمره .. ليقرر فى اعترافاته وليعلن على الملأ انه حمل القلم وملا به الأوراق بين الجد والهزل وانه ما فعل بذلك خيرا .. فلا بأس به وهذا امر حسن جدا .

ولكن من المآخذ التى نأخذها عليه ان الحكيم قد استباح لنفسه ان يجرى مع الله حديثا او حوارا مباشرا

وكان الأجدر به ان يكون استاذنا حكيما بقلمه يسجل به هذا الاعتراف فى صورة غير هذه او بشكل لا يتطرق اليه اتهام او شك فى براءة اعترافاته لله ـ وطلب الغفران منه سبحانه وتعالى ، وكنا نود من كاتبنا الكبير ان يخط بقلمه هذا كتابا يعالج الواقع المصرى حتى ولو كان من واقع هذه الاعترافات لكن بأسلوب المناجاة .

وهنا يضعنا الحكيم امام الغموض الشديد .. الذى يجعلنا نتساءل :

هل يأترى الحديث مع الله .. يتم ببساطة بين العبد وربه او انه لمجرد الحديث او الفلسفة .. ؟

والاجابة .. ببساطة شديدة .. ان للحديث مع الله معان وايحاءات بلا كلمات وحروف محسوسة فهى لا تخط ولا تسجل بكلمات حسية من وحى اقلام كتاب عاشوا حياتهم فى اوهام الخيال .

وهذه الايحاءات تكون بالروح والقلب ، لا يدرك تذوقها الا من جد في العبادة ، ونهض بدعوة الاسلام ونشر مبادىء الدين . وليس لانسان ما ان يدعي هذا الشرف الا اذا اصطفاه الله لهذا المقام وتلك الدرجة العليا ، وعندئذ قد يكون مقامه في الالهام كالايحاء لأم موسى في القرآن : « واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه ، فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني ، انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين »[1]

وقول الله تعالى :

« ولقد مننا عليك مرة اخرى ، اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت ، فاقذفيه في اليم ، فليلقه اليم بالساحل . يأخذه عدو لي وعدو له ، والقيت عليك محبة مني ، ولتصنع على عيني ، اذ تمشي اختك ، فتقول : هل ادلكم على من يكفله ، فرجعناك الى امك كي تقر عينها ، ولا تحزن ، وقتلت نفسا ، فنجيناك من الغم ، وفتناك فتونا ، فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي »[2]

ومن الحكمة البالغة .. نطرح تساؤلا :

هل يمكن ان يلوم الحكيم نفسه ويعدل بفكره عن هذا الاتجاه .. اتجاه الحديث مع الله او الحوار المبتدع .. الى اسلوب « مناجاة مع الله » .. ؟

فان المناجاة اليق واجمل دعاء له في طلب المغفرة من الناحية الاسلامية والفكرية ، والا تأكد الدليل في الاشاعة القائلة .. على انه اداة فكرية تخدم غير الواقع المصري في اسلوب المعالجة الروائية والقصصية .

ولا حرج على استاذنا الحكيم ان يستغفر الله بعد عمر طويل قضى بين الجد والهزل .. في اسلوب المناجاة ..

ولتكن مناجاتك مع الله بكلام من لجأت اليه :

« رب اني ظلمت نفسي وإن لم تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين »

صدق الله العظيم

(١) الآية في سورة القصص

(٢) الآية من « ٣٧ ـ ٣٩ » سورة طه

لا خيال فى حقيقة الذات العليه

وإذا كان لمفكر ان يسبح فى الخيال الوهمى ، ليصوغ كتاباته من نسج الخيال محاولا بها معالجات واقعية فهذا حقه ولكنه امر ياتى من نتاج العقل المحدود بحدود معينة فى التفكير ..

فإذا ماتجاوز الكاتب او المفكر هذه الحدود هلك وضل فى شطحات وسقطات كلها خيال فى خيال لااصل لها من واقع الناس وحياتهم . وكانت النتائج عكسية تؤدى الى هلاك المجتمع .. وبلبلة افكار ابنائه بجعله فى متاهات هذا الفكر الخيالى الذى قد يكون احيانا لااساس له من صحة فى واقع افراد المجتمع ..

وإذ نوجه اللوم للاديب المفكر توفيق الحكيم فى اهلالته بحديث مع الله فجاة على مجتمعنا المصرى وكانها رصاصة قاتلة اصابت كل مسلم فى دينه .. يجعله ان يكون حديثا فى صورة الرواية او القصة . ويجرى بخياله الشاطح مع ربه حوارا بالفاظ يخاطب بها المخلوق فقط ولايمكن اجراؤها مع خالق هذا الكون ..

ونتساءل .. كيف يجرى الحكيم الحوار بالفاظ هى :

الخالق .. المخلوق ؟ ؟ !

وكأن توفيق الحكيم صنع من حديثه الها له كالهة الجاهلية الاولى .. كاللات والعزى. يخاطبه فى اى وقت ومتى شاء اوعن له الحديث فى سبحات خياله القاصر .. المحدود بتفكير عقلى يجب ان يقف عند حدوده .

وإذا كان للحكيم ان يسبح بفكره وان يشطح بالعقل فى اى من المعالجات والمشاكل الاخرى فى المجتمع .. فلاباس عليه .. اما انه يحاول ذلك فى التجرؤ على الدين الاسلامى وانبياء الله .. كيوسف عليه السلام .. مستترا فى تفسيرات بشرية شابها القصور فى الرؤية .. وادخل عليها اعداء الاسلام الكثير .. من إسرائيليات وغيرها . فهذا امر جد خطير ومنه نشم رائحة ضرب تراث الاسلام ورميه بالشكوك مرة أخرى ..

هذا التفكير لتوفيق الحكيم يرفضه اهل هذا الدين الاسلامى تماما .. لانه اجتراء على مقام الذات الالهية بجعل رب العالمين الذى ليس كمثله شىء .. فى مقارنة المثلية المرفوضة والتى تتمثل فى حوار الرواية الخيالية التى تعود الحكيم بقلمه صياغتها وهو :

الخالق ..المخلوق

وكأنه صنع لنفسه صنما يعظمه .. يساله ويحاوره .. ومع

الاسف فان عبدة الاصنام والالهة المتعددة كانوا يناجونها فى تأدب ينظرون الى آلهتهم هذه على انهم عبيد ..
وهذه آلهتهم جاؤا اليها يطلبون الغيث والشفاعة والنصر ونمو التجارة وربحها ..
اما استاذنا الحكيم وكانت سقطته فى حديث مع الله .. او حديث الى الله « بعد عدوله » .. فيها تجرؤ وافتئات على حق الذات العلية .. وحاشا لله ان يضعه مخلوق من خلقه فى موضع المثلية الحسية المادية لان الالفاظ التى استخدمت فى روايته لحديثه مع الله .. او حديثه الى الله وهى :
.. الخالق ..
..المخلوق ..
وضعت الرب الكريم فى موضع المثلية البشرية .. وتنزه الله سبحانه عن هذه المثلية البغيضة .. « فتعالى الله عما يصفون » والله يقول فى كتابه الكريم : « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » ..
« ويعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور » ويقول سبحانه فى سورة البقرة : « يعلم مابين ايديهم وماخلفهم ولايحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السماوات والارض ولايؤوده حفظهما وهو السميع العليم » .
ولما كانت محاولة توفيق الحكيم فيما اثاره لقضية دينية بحتة يحاول من ورائها ان يصوغ الدين باسلوب الرواية الخيالية والقصة المفتعلة ، برر ذلك انه يريد تحقيق هذا الأمر وبحثه فانه حق اريد به باطل وما هى الا فتنة يريدها بل اراد باتجاهه هذا .. زيادة الفتيل اشتعالا فى مصر والامة الاسلامية باسرها .
ونعوذ بالله من هذه الفتنة وتلك الطامة الكبرى التى تسخر فيها اقلام كتابنا الكبار ..
واشفاقا على أستاذى توفيق الحكيم اطالبه باز يتقى الله فى دينه وان يستغفر الله من ذنبه فورا ويصحح موقفه وليدر حديثه مع ربه فى صورة مناجاة مع الله دون زخرفة القول وصياغته فى اسلوب الرواية الخيالية التى هلكت واهلكت الكثير والكثير من الشباب والفتيات وابعدتهم عن دينهم وطريقه الجاد ..
فالى كل من يهمه الامر فى دينه وقيمه وتقاليده الاسلامية فى مصر الى كل فتاة وشاب مصرى .. مسلم ومسيحى .. انزلق بالمشاهدة او

التأثر بفكر كتاب الرواية الخيالية او القصة فى بلدنا سواء بالقراءة او المشاهدة من خلال شاشات السينما او التليفزيون وانقلبت بهم هواية هذا او ذاك الى تيار الانحراف والتمزق

الى كل شاب وفتاة جرفتهما هذه الافكار الى تيار الرزيلة وابعدتهما عن نعيم الفضيلة .

الى كل رجل مسلم يهمه امر دينه اهدى هذا الكتاب .. لعل مضمون ماأردته من دفاع امام تيار المحاولات التى تريد النيل من الاسلام .. باقلام كبار كتابه بمقولة انها معالجات فكرية جديدة .. ارجو ان تشفع لى امام الله .. ولتكن كلمة صدق تشهد لى يوم لاينفع مال ولابنون الا من اتى الله بقلب سليم »

واعوذ بالله من كلام يشهد علينا فى ذلك اليوم الذى يجعل الولدان شيبا ..

وليكون هذا الاهداء تاريخا يتعرف عليه جيل المستقبل من بعد حياتنا ان فى بلدهم مصر .. من كان يتصدى بقلمه لتلك المحاولات والتيارات الفكرية المسمومة بكل مايملك واوتيت من قوة .. لايبغى بذلك سوى وجه الحق وابتغاء مرضاة الله ..

وليعلم شباب الحاضر .. وجيل الغد .. من بعدنا .. ان ما تعرض اليه كتابى هذا « الحديث » مع الله .. واعترافات الحكيم » بصدد ماأثير فى قضية « حديثه مع الله » وهى قضية اثارت الراى العام واثارت ضجة كبرى فى كل الاوساط الدينية وغيرها مما حملنى للتصدى والدفاع .. للكشف عن مايحمله الحكيم فى حديثه مع الله او حديثه الى الله من تفجير لقضايا اسلامية اخرى .. قد تصيب المسلم فى دينه ..

وحقيقة الامر انها بدعة فى الدين .. وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار ..

ولما عجزت عن نشر هذا الراى فى احدى الصحف القومية حيث قوبل بالرفض كسوابق لغيره بمقولة ان توفيق الحكيم كاتب مبتدع ومفكر عملاق .. والحديث حقه ولامعقب وانه يعمل بها كاتبا متفرغا ايضا ..

ولما لم اجد مفرا من ذلك الحصار . آثرت طبعة فى كتابى هذا « الحديث مع الله .. واعترافات الحكيم » اقدمه بوثائق تضمنت تعليقات وآراء او ردود لكبار العلماء والمفكرين الاسلاميين .. اضعها تحت سمع وبصر القراء او الذين يهمهم امر هذا الدين

الحقيقى ارجو الله به ان تعم الفائدة .. لتكون كلمة الله هى العليا .. وكلمة هؤلاء هى السفلى

وبداية الاهداء ونهايته ليست من فراغ وانما جاءت نتيجة لهذه الفلسفة الجديدة فى الرواية التى ابتكرها استاذنا المفكر توفيق الحكيم ... الذى بدأ حديثه « مع الله » فى جريدة الاهرام .. ثم عدل عنوانه فى الحلقة الثانية منه الى « حديث الى الله » واياكانت التسمية .. فالمضمون جد خطير .. وهلاك مستقر نعوذ بالله مماقال .. فيما كتب .. سامحه الله .. ويكفى ان نسجل عليه فلسفة اعترافاته فى البداية والنهاية « يقول الحكيم .. تجاوزت الثمانين من عمرى حاملا قلمى اهيم به فى كل واد .. املأ به الاوراق بين جد وهزل وماأظن انى فعلت خيرا .. »

وليسمح لنا الحكيم ان نقول له انها فلسفة صادقة واعترافات حقيقية يسودها الصدق ..لا الخيال .. لأول مرة فى حياة قلم عملاق والاعتراف بالحق فضيلة ..

ولكن اريد به باطل . ! !

وكتابى بما تعرض له من تصد ودراسة لهذه القضية التى فجرها الكاتب توفيق الحكيم .. وقد تضمن آراء وردود فعل اعتبرها من وجهة نظرى ادلة وبراهين للرد المقنع على الحكيم فى حديثه المفاجىء والذى كان له وقعه على المسلم . اعتقد من خلالها انها ادانة لباطل وافتراءات توفيق الحكيم على الله فى حديثه بل ان هذالكتاب بما حواه من مضمون فى طيات صفحاته .. إنما يكشف عن هوية هذا الرجل بالحجة والكلمة الصادقة ..

وكلمة الله هى الحق والصدق لدحض هذا الباطل وزيفه .. ويحق الله الحق بكلماته ويبطل الباطل ولو كره المجرمون

اهيم بقلمي فى كل واد ..
ومافعلت خيرا ..

بعد ان تجاوز الكاتب توفيق الحكيم الثمانين من عمره يطالعنا بلون جديد من الكتابة .. هى منذ البداية تسجل اعترافات خطيرة على هذا العمر الطويل .. خطت بقلمه .. فى حديثه مع الله .. :

« ولم يبق لى فى حياتي الان سوى الحديث معك فقد عشت الحياة التي قدرتها لى اكثر من ثمانين عاما ..اهيم فى كل واد حاملا قلما املأ به الاوراق بين « جد وهزل » ولااظن انى فعلت بذلك خيرا » الى اخر مانشرته جريدة الاهرام .

وتلك حقيقة .. يسجلها والاعتراف بالحق فضيلة والتوبة حق لكل مسلم ولكن هذه الاعترافات جاءت متأخرة والتائب من الذنب فى ريعان شبابه افضل بكثير عند الله من توبة الشيخ الهرم .

وحسبنا ان يطلب الحكيم المغفرة من ربه .. رغم ان اعلانه فى اعترافاته فى الاهرام للقراء فى حد ذاتها تقدم دليلا لادانته .. على انه سخر القلم المقدس فى معالجات تضمنتها رواياته وكتبه .. هى فى حقيقة امرها من نسج الخيال البحت وليس لها مكان فى الواقع المصرى المسلم والمسيحي وان كانت اعترافاته هذه تؤكد انه حمل قلمه يملأ به الاوراق بين جد وهزل بفكر نعرف نحن المدخل الذى جاء به الحكيم والاغراض والاهداف التى حدت به ان يسلك هذا المسلك .

ولالوم على قلم الحكيم بل اللوم على فكره الذى انحدر به طوال هذا العمر الطويل .. فى كتابة الهزل اكثر من الجد .. ونحن لانحاسبه على فعله وعمله لان ذلك هو ملك وحق لله وحده لاينازعه احد فيه .

والمنطق الغريب ان يختار الحكيم اللون الجديد من الكتابة تحت عنوان : (حديث مع الله) .. وبذكاء المفكر الظريف يكتب بقلمه هذا الحديث من زاوية الدين ويريد ان يضفى على اعترافاته الصبغة الدينية ويستبيح لنفسه الحوار مع الله تخيلا وبلاتكلفة وكأنه نبى مرسل أخر الزمان ويقول عبارات منها : « بل انا فى هذا الحوار المجيب عنك افتراضا » ..

ثم يوجه فى حديثه مع الله إتهاما هوبه متهم بالدرجة الاولى وهو الافتراء على الله فعلا لانه لم يصل به النضج الايمانى الى هذا المقام واعترافه يسجل هذا بقوله (وان كان مجرد حديثى معك سيغضب بعض المتزمتين لاجترائى فى زعمهم على مقام الله سبحانه وتعالى » .

ويتضح ان منطق الحكيم غريب فى هذا الاتجاه الذى بدأه بالاتهام .. للابرياء .. وهذا يكشف مناوراته فى ساحة الفكر واهدافه التى يهدف اليها .. فالمسألة ليست مسألة اعتراف بالذنب او تكفير لعمر مضى وانقضى بين الجد والهزل .. او انه يريد ان يسخر قلمه لخدمة الدين لذاته طلبا للمغفرة ومسحا لذنوب اقترفها . او روايات او قصص شقت طريقها فانطفأ المصباح وحل الظلام فى الحياة المصرية بصورة تخالف الواقع المصرى فى المعالجات لمشاكله الحقيقية اوانها لاتخدم ابناءه وتوجههم للمحافظة على تقاليده وقيمه الأصيلة ولكن بالعكس جاءت لخدمة فكر صهيونى عالمى .. المعالجه فى الرواية او القصة شىء والواقع الذى نعيشه شىء أخر .. وكأنها رواية او قصة ترمز الى واقع جاء من بلاد الغرب او اليهود انفسهم .

والحديث مع الله .. بدعة صهيونية تخدم الفكر الصهيونى .. وليس الفكر المصرى الاسلامى .. لان بنى اسرائيل هم اول من ابتدع الحوار مع رسل الله ..

وللاسف كان حوارهم المبتدع مع الانبياء وليس مع الله مباشرة .. قصت علينا ذلك سورة الاعراف مع نبى الله موسى .. بينما الحكيم ياتى الينا بهذه البدعة ليطالعنا « بالحديث مع الله مباشرة » وهو بهذا الحديث المبتدع يضع نفسه بنفسه فى قفص الاتهام .. فى آخر ايام عمره الذى قضاه بين الجد والهزل فى كل ماكتب ..

ونحن نذكره بحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

« من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » .

وياليت الحكيم اقتصر فى بدعته الفكرية الجديدة .. على ندب

حظه من الحياة ـ وندب قلمه الذى خط به فى الاوراق جدا وهزلا ويااليت الحكيم .. سجل بقلمه مايخدم الواقع المصرى الاسلامي او يخدم الدين الاسلامي ليكون بذلك شفاعة له في الدنيا والاخرة وعليه ان يقرأ الحديث السابق ويدقق النظر فيه ليعيد حساباته في عمره الذى انقضى ثم يضع نفسه على الميزان الاسلامي .. ليكتشف بنفسه انه غير مؤهل للحديث مع الله ..

ونحن لانشك ان الحكيم قرأ الكثير من الثقافات المتعددة لمفكرين من الشرق والغرب ولكن اعترافاته وكيله الاتهام على رجال الدين مسبقا بتهمة « التزمت » .. يشككنا في انه لم يقرأ في كتب الاسلام مايفيد والا ماوصل به الامر الى درجة استباحته الحديث مع الله بهذا الاسلوب .

فهل نسى او انه لم يطلع نفسه على كتب العلماء الفحول الذين اكدوا ان الحديث مع الله معان لاتخط او تنسجل بكلمات حسية من وحى افكار واقلام مادية ؟ ! بل ايحاءات والهامات الهية لايدركها او يتذوقها الا عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا .. وعاشوا اعمارهم يعبدون الله ويستغفرونه بالاسحار ..

ولهذا الحديث مع الله شروط في الاسلام .

ويبدو من اعترافات الحكيم انه يفتقدها وكان يحتاج الى معرفتها منذ بداية شبابه وتمييزه للاشياء .

اما بعد هذا العمر الطويل وقد جاء ليجلس بنفسه على كرسى الاعتراف الحقيقى ليتوب ويعترف انه مافعل خيرا .. فهذا حسن ولالوم عليه فيه ، اما ان يبتكر بدعته (بحديث مع الله) فهذا مكمن الخطر وهو امر يستدعى تدقيق النظر والرؤية فيه .. واعتقد ان هذا السلم الذى يحاول الحكيم ان يرتقى اليه كما ارتقى من قبل في الكثير من كتاباته .. هو نسج من الخيال الذى لاواقع له في بلدنا المسلم وشعبها الطيب ولامكان له بين أبنائه علماء ومفكرين اسلاميين الذين يدفعون الخطر الذى قد يصيبه في دينه ويطعنه في قيمه ويقفون بالمرصاد لكل الاقلام التى يحملها اناس يحاولون تشويه الصورة الجميلة لعاداته وتقاليده الاصيلة والتى تحاول دائما بافكارها المسمومة خدمة اغراض واهداف غير مصرية كما يبدو ذلك من اقلام احسان عبد القدوس وتوفيق الحكيم وغيرهما ..

ومع ذلك فكان الاجدر بالحكيم ان يسجل بقلمه اعترافاته الصريحة فى صورة غير هذه او بشكل لايتطرق اليه اتهام اوشك فى براءة الاعتراف الذى ينشد له المغفرة من ربه .. وليخط الحكيم بقلمه اعترافاته فى صورة « مناجاة مع الله » .. حتى المناجاة مع الله لها شروط فى الاسلام . ولكن عكس الحديث مع الله .. يستلزم توافرها كلها .. اما المناجاة مع الله قد يكفى توافر احداها وابسطها اداء الفريضة « كالصلاة مثلا » حتى العاصى له ان يناجى ربه ويطلب الغفران والتوبة وبابها مفتوح الى يوم القيامة .

وليس كما يطلع علينا الحكيم بفكره الجديد « الحديث مع الله » .. ويزعم انه امر بسيط لمجرد الحديث الحسن والفلسفة وحديثه مردود عليه جملة وتفصيلا وليس الامر هملا يجريه كائن من كان .. او ان ثمة إتصال بين العبد وربه يتم ببساطة الفكر المجرد والرؤية العقلية القاصرة حتى عن معرفة نفسها وخباياها .. وقد يخطىء الانسان بلسانه فيطلب المغفرة والتوبة من ربه فيغفر له ويتوب عليه .. اما ان يخطىء الانسان بفكر يسجله بقلمه فى اوراق تحول إلى افلام على الشاشة الصغيرة او الكبيرة .. يشاهدها الناس يوما ما . وتترجم فى نفوسهم الى فساد ودعارة وعربدة واهدار لكرامة هذا المجتمع المصرى الذى يعيشون واقعه وحياته فهو امر لايغتفر .. بل مكان صاحبه بفكره وقلمه فى ميزان الحديث النبوى هو سنة سيئة سنها فى حياته الدنيا .. عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة .

وماكنت اظن ان يقف الحكيم هذا الموقف .. وان يسجل شهادة نجد فيها منطقا غريبا تزيده إتهاما على إتهام وادانة قاسية لاتفلته من العقاب تاريخيا بين دنيا الناس .. وأخرويا يوم يساق الناس فى الاخرة للحساب امام ربهم الكريم « وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون . »

وفى النهاية يبدو ان وراء اعترافات الاديب توفيق الحكيم مداخل وقضايا اعمق من هذا المدخل وهو الحديث مع الله .. اذ يرمز حديثه الى تفجير قضية خطيرة ربما تثير زوبعة او فتنة فى الاوساط الدينية يضيف بها الحكيم رصيدا آخر .. الى سجل اعترافاته فى آخر سنى عمره ويفتح الباب للتخريف والتحريف والجدل فى اصول الاسلام وحقائقه لينال اعداء الاسلام ويتحقق

لهم ماعجزوا عن تحقيقه وهو ضرب الاسلام باهله واقلام مفكريه وكبار كتابه الذين ساهموا من قبل في ذلك سواء بقصد او بغير قصد ..

وحسب الحكيم الا يواصل الحديث ليشوه هذه الصورة الجميلة وماعليه الا العدول واللجوء الى الله في صورة (مناجاة مع الله .. وليس حديثا مع الله) ليضيف الى اعماله رصيدا حسنا وسنة حسنة يذكر بها الى يوم القيامة ..

واخيرا وليس اخرا .. ارجو الله للاديب العملاق .. توفيق الحكيم .. الا يكون تذكره لابنه الذى رحل عنه عزاء فتنة يختتم بها حياة اضاف اليها بفكره مايفيد ومالايفيد القارىء في مصر وغيرها .. ليثير قضية نعتقد ان وراءها من الضرر الكثير والكثير .. وارجو الايكون الامر في حديثه مع الله كذلك حتى لايزيد اديبنا الحكيم الفتيل اشتعالا .. ذلك ان النار تشتعل من مستصغر الشرر ..

ولتكن آخر ايامه في الحياة مناجاة مع الله وليس حديثا يفترى لتكون المناجاة مع الله شاهدا حسنا له .. لاعليه .. يقدم من خلالها رؤية دينية باسلوب المعالجة الفكرية الحسنة ممتزجة بتجاربه العديدة بحلوها ومرها يقتدى به من خلالها قراؤه ويذكرونه بها مدى الحياة وكفي ان يسبح حكيمنا في الخيال والتردى في واقع لاحقيقة له وليغتنم الفرصة في ظل دينه وليقرأ كثيرا من تراث الاسلام فيما يبقي له من العمر ان كان هناك بقية باقية له في الحياة الدنيا ـ حتى ينال في آخر لحظات هذا العمر شرف حصانة عقله وفكره بالعلم الصحيح ولكي يحفظه الله من الانزلاق مرة اخرى في تيار الفكر المسموم المحموم .

وعليه ان يبدأ فورا بنصيحة الاسلام من مسلم التي تحمل اليه اقتراح « مناجاة مع الله » .. بكلام من يريد اللجوء اليه سبحانه وتعالى الوارد لنا في كتابه الكريم :

« رب انى ظلمت نفسى وان لم تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين . »

نموذجان
من
حلقات
ـ حديث مع الله ـ او ـ الى الله ـ

وكفى ان نسجل للتاريخ وللاجيال الحاضرة والمقبلة نموذجان من بين سلسلة حلقات « توفيق الحكيم » فى حديثه « حديثه مع الله » او « الى الله » بعد عدوله عن الاول فى العنوان والتسمية .. وهذان نصهما من خلال مانشرته الاهرام .

الحلقة الاولى
فى حديث .. مع الله

هذا الحديث مع الله لم ار مانعا من نشره باذن الله طبعا فانت تعرف يارب انه لم يبق لى وانا فى آخر ايامى غيرك .. وليس غيرك من احب الحديث معه وان يكون آخر ماكتب هو هذا الحديث ولايسقط القلم من يدى الاوهو يخط اسمك الاكرم سبحانك . وانت الذى اكرمت القلم واقسمت به .. وبإذنك اسالك ان يكون حديثى فى كل شىء شاهدته وفكرت فيه اثناء اقامتى فى هذه الدنيا ، دون حرج .. وان تقوينى على نشره فى حلقات اسبوعية .. كل حلقة يوم ثلاثاء . والشكر والحمد لك يامن نفسى بيده .

« ولايكتمون الله حديثا »
قرآن كريم

نعم ياربى لن اكتمك حديثا وقد يبق لى فى حياتى الان سوى الحديث معك . فقد عشت الحياة التى قدرتها لى اكثر من ثمانين عاما . جعلت اهيم خلالها فى كل واد . حاملاقلما املأ به الاوراق بين جد وهزل . ولااظن انى فعلت بذلك خيرا . ولكنى اذكرك كثيرا . واتحدث اليك طويلا . واعلم انك تسمعنى . لانك سميع بصير . ولكن الحديث معك ليس بيسير . لانك عليم بكل شىء . وماأقوله تعرفه . وليس من حقى ان أسألك إجابة اوردا . وليس لبشر ان تكلمه انت الاوحيا . ومن أكون انا حتى تحدثنى انت

بالوحي . لن يقوم اذن بيننا حوار . الا اذا سمحت لى انت بفضلك وكرمك ان اقيم انا الحوار بيننا تخيلا وتأليفا وانت السميع . ولست انت المجيب بل انا فى هذا الحوار المجيب عنك افتراضا . وان كان مجرد حديثي معك سيغضب بعض المتزمتين لاجترائى فى زعمهم على مقام الله سبحانه وتعالى .

خصوصا وحديثي معك سيكون بغير كلفة لااصطنع فيه الاسلوب الرفيع اللائق بارتفاعك . ولابالوصف العظيم المناسب لعظمتك . فانا سأخاطبك مخاطبة الحبيب لحبيبه الحب الذى ليس كمثله حب لانك انت ليس كمثلك شيء . وعندما سأل بعض المؤمنين نبيك صلى الله عليه وسلم عما اذا كانوا سيرونك فى الاخرة لم يرد ان يخيب املهم فلم يقل لهم كيف ترون من ليس كمثله شيء ؟ وكيف وانتم شيء ان تدركوا من ليس بشيء ؟

وكيف وانتم بشر ترون بعيونكم البشرية مالاتراه العيون ؟ وهل سنبقى فى الاخرة بعيون واجساد بشرية ؟ . اظن انهم لم يسألوا ذلك .

والقرآن الكريم قد ذكر فى سورة الاعراف ان موسى قال : « رب ارنى انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا . »

اما انا فأسأل واجيب : ان العالم الاخر عالم مستقل عن عالمنا الارضى .

لن يكون رداؤنا فيه رداء بشريا ولاقوانينه هى القوانين الارضية .. وربما قصد العالم اينشتين بقانون النسبية شيئا كهذا وهو من العلماء القلائل المؤمنين بالله وليس كبقية العلماء الملحدين لست انسى قوله بالنص : « انى ادين بالتبجيل كله لتلك القدرةالعجيبة التى تكشف عن نفسها فى اضأل جزىء من جزيئات الكون » .. كما لا انسى قول العالم المعاصر « كاستلر » الذى يعمل حتى الان فى كشف اسرار « المادة » والف كتابا قال فيه : « اننا كلما اوغلنا فى دراسة المادة ادركنا اننا لم نعرف عنها شيئا . فسوف يظل دائما شيء فيها مخفيا عنا » فلما سألوه : مخفى بمن ؟ اجاب : بالله » .. ثم وصف متاعبه فى استمرار البحث بالقوانين عن العمل . وانه دخل فى مرحلة لم تعد تسرى فيها هذه القوانين الطبيعية المعروفة فى الارض . مما جعله يسأل نفسه : اترى علم الفيزياء الذى نمارسه ليس فى الحقيقة علما واحدا .. اذ يوجد

علمان كل منهما يعمل مستقلا عن الاخر علم للمرئيات وعلم للمخفيات او بعبارة اخرى علم للمحسوسات او لهذه الدنيا . وعلم فيزياء آخر لغير المحسوسات . اى لغير دنيا البشر أى للآخرة .. وكل منهما له قوانينه الخاصة التي لا تسرى الا على عالمه ، ومعنى ذلك عندى ان انتقالنا الى العالم الآخر ، سيضعنا في عالم لا نخضع فيه للقوانين البشرية .. وقد جاءت اشارة الى ذلك في قرآنك الكريم يا ربى « سورة الطلاق » حيث قلت في هذه الآية : « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » وجاء تفسير « القرطبى » نقلا عن الماوردى على انها سبع ارضين بعضها فوق بعض تختص دعوة اهل الاسلام باهل الأرض العليا ولا تلزم من في غيرها من الأرضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز ..

معنى ذلك ان الاديان نسبية تختص بها ارض دون ارض لان البشرية نفسها نسبية .. وكأنك ياربه تلمح الى ماسوف يكتشفه العلماء بعد قرون في شخص اينشتين . كما اوحيت الى رسولك محمد في قرآنك .. بقولك : « انما يخشى الله من عباده العلماء » والخشية كما فسرها بعض المفسرين ترمز الى التقدير والاجلال . حتى لقد قال ابو حنيفة فيمن قرأ انما يخشى الله بالرفع اى ان الله يخشى العلماء ..

ان في هذه القراءة استعارة والمعنى ان الله « انما يجلهم ويعظمهم . وسواء اكان التقدير والاجلال من العلماء لله ام من الله للعلماء فان المعنى هو ان هنك اتصالا راقيا بين الخالق والمخلوق وهو جوهر العبادة الراقية للعقل الانسانى الراقى بارتفاعه الى حيث يدرك قدرة الخالق وعظمته .

وليس أدل على ذلك الادراك والاجلال من كلمة ذلك العالم « اينشتين » في قوله : « انى ادين باعمق الاجلال والتعظيم لهذه القدرة العجيبة التي تفصح عن نفسها في كل جزء من جزيئات الكون . وكلمة كاستلر عندما قال « كلما ازداد تعمقنا في دراسة تركيب المادة تضاعف اقتناعنا باننا ما عرفناها فان جزءا منها سوف يظل الى الأبد بعيدا عن تعليلنا لانه مخفى عنا مخفى بمن ؟ مخفى بالمبدأ الأوحد الله .

ان كل مانعرفه عن العالم المحسوس لاقيمة له في فهم العالم غير المحسوس » .

وهكذا حيرة العلم والعلماء اليوم كلما توغلوا فى العلم اقتربوا من الخشوع لله . وصدق ياربى ماأوحيت به فى قرآنك الى نبيك ورسولك من انك تخشى من عبادك العلماء . ولذلك اعتقد انه من الطبيعى والمنطقى ان مثل هؤلاء العلماء المؤمنين بك سوف يكون مصيرهم مغفرتك وانت الغفور .. والعلماء اقدر على اقناعنا بوجودك ووحدانيتك من الفلاسفة الذين لايعتمدون الا على لغتهم وهى فى الغالب عاجزة او ملتوية .

ولنقرأ مايقوله « ابن سينا » مثلا فى واجب وجودك : ان واجب الوجود يجب ان يكون ذاتا واحدة ..

والذى يجب وجوده بغيره فهو غير بسيط الحقيقة .. لانه ليس الفرد وغيره زوج تركيبى ... الخ .

ولكن الله فى حديثى هذا معه جعل يستمع فقط .. وتركنى اواصل كلامى .. فقلت : ولكن ياربى بعض رجال الدين عندنا يرون غير ذلك ، يرون مصير هؤء العلماء من غير المسلمين النار لأنهم لم يقولوا لا اله الا الله « شهادة لغوية .. مع ان العلماء قالوها بالممارسة وليس باللفظ . ومارسوا قدرة الخالق ووحدانيته فى أسلوبه المعجز فى خلق الكون وقوانينه التى تدل على انه الواحد وان اسلوبه الواحد فى كل جزىء من جزئيات الخليقة لايمكن ان يصدر عن غيره . ومع ذلك سبق لك ياربى فى قرآنك ان حزرت من الغلو فى الدين (سورة المائدة) ولم يغفروا لمن قدرك الا بالاقتراب من أسرار خلقك ، ولن يتسن ذلك الا بلغة أخرى : هى لغة القوانين العلمية ، ولذلك اذا سمحت لى بالتنبؤ ، فانى اتنبأ بأن رجال دينك فى المستقبل سوف يكونون من بين رجال العلوم ، حتى يقتربوا منك عن طريق اسلوب الخلق وليس اسلوب اللغة .. وانا أسف ياربى أسفا شديدا .. ولا اعتراض لى عليك . ولكنها مجرد ملاحظة .. لماذا وانا احبك هذا الحب لم تعطنى لمعرفتك غير وسيلة اللغة ولم توجهنى الى دراسة العلم .. بل لقد كنت اكره المواد العلمية وارسب منذ الصغر فى دروس الحساب .

وفجأة .. حدث العجب .. حدث ما كاد يجعلني يغشى على دهشة ، فقد سمعت ردا من الله أو خيل الى ذلك ، وهل اذا درست الحساب بنجاح والتحقت بمدارس العلوم كنت ستراني ؟ .. هذا ما سمعته . وهذا يكفي لجعلني اعتقد ان الله قد سمح اخيرا ان يدخل معي في حديث .. وسانتهز الفرصة وابادر فسألك ياربي بفضلك العميم ان يتخذ الحديث شكل : « الاخذ والرد » او « الحوار » حتى لايطغى سردى . فلا يبرز جوهر المسائل ، فهل انت موافق ياربي العظيم ؟
فقال الصوت العظيم وسأضع قوله امام كلمة « الله » كما نفعل كلما كتبنا الحوار وهو تعالى قد سمح بذلك .. فيما خيل الى وهو الغفور الرحيم .
الله ـ قل على لساني ما تشاء وانت تعلم اولا انه ليس لى لسان مثلكم . ولكن انسب وتخيل وألف .. على أن يكون ذلك كله على مسئوليتك وتحاسب عليه يوم الحساب فهمت !
المخلوق ـ حساب ؟ !
الله ـ نعم .. لابد من الحساب .
المخلوق ـ وهل هذا الحساب للجميع ؟
الله ـ طبعا . ألم تقرأ آيتي في القرآن : « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون » .
المخلوق : يحشرون .. نعم .. نعم ... اذن هو يوم الحشر .. لهم ايضا .. لكن ياربي هل هم لهم اخطاء .
الله : أليسوا مخلوقات ؟ .. ما من مخلوق الا وله اخطاؤه .
المخلوق : حتى الانبياء ؟
الله : الانبياء معصومون من الفعل .
المخلوق : وليس من النية . لأن يوسف هم بها وهمت به .. اى تمت النية .. ولكنه توقف عن الفعل .. لانه راى برهان ربه .. اى تدخلت انت ياربي وعصمته عن الفعل .
الله : نعم اعصم من أحب عن الفعل : أما النية فهى لصيقة الغريزة البشرية .
المخلوق : وهل هناك حساب على النية ؟
الله : طبعا .. ولكنى غفور .
المخلوق : ولماذا الحساب اذن ؟

الله : لانه القانون أساس نظام .

المخلوق : وانت خالق الكون اى فوق القانون .

الله : لا .. انا خالق القانون الذى يتم به تركيب الكون فلذا فسد القانون اختل تركيب الكون .. فانا لست فوق القانون ولكننى الحريص عليه . لانه من خلقى ، ووليد حكمتى .

المخلوق : فعلا .. حرصك ياربى على قانونك هو ارادتك العليا لان جوهر ارادتك هى الكينونة ، هى الكون والوجود وخلود الوجود ولذلك سلحت كل موجود بأدوات وجوده . ولنا نحن البشر جعلت ياخالقنا الحبيب أدوات وجودنا الدين والعلم والغريزة وما نسميه الغريزة هى معرفة تكونت فى أعمالنا منذ القدم وتكدست وتكلست وصارت تعمل تلقائيا مع وجودنا واصبحت قوة لايصد طغيانها الا الدين والعلم . اما ارادتك الالهية ياربى فهى التعادلية بين الثلاثة فلا تطغى قوة على قوة بل يعمل الكل معا فى بقاء الانسان داخل نطاق التوازن الكونى والكينونة الكبرى وعبادتك ياربى التى يجسدها الدين هدفها الحقيقى ليس الاحسان الى الله . لان الله قائم بذاته لايحتاج الى أحد ولا الى شىء فقد قال الله فى قرآنه كثيرا : « ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها » .

كما قال :

« من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها » لان الله يعلم ان البشر ضعيف ولكى ينقذ وجوده من القوة الطاغية التى لشيطان الغريزة المدمرة يجب ان يستمد قوة الوجود من الله الموجود الخالد بذكره دائما والاستعانه به ضد قوة الجاذبية الغريزية المفسدة لتركيبه . فالدين اذن اداة للانسان ولم يوجده الله الا اداة تحافظ على الانسان باقيا ، ضمن التركيب الكونى الذى خلقه الله بقدرته وارادته وحرص عليه . فالدين للعابد لنفعه وليس للمعبود الغنى بنفسه .

الله : وبعد .. ياهذا ؟ .. اطلبت الحديث معى لتكلمنى فيما انا اعلم به منك ؟ ,,

المخلوق : او كان من الممكن ان أحادثك فيما لاعلم لك به ؟ وانت ياربى العظيم العليم بكل شىء .

الله : هل عندك شىء آخر تقوله لى ؟

المخلوق : سئمت حديثى ياربى ؟

الله : أنا لا أعرف السأم وانا سميع دائم السمع للغط مخلوقاتي الكثيرة من أبعد المجرات الى اصغر الحشرات .
المخلوق : الحشرات .
الله : تكلم ..
المخلوق : اذا سمحت فلنواصل بمشيئتك الحديث في الثلاثاء القادم .

الحلقة الثانية
فى
حديث .. الى الله (١)
« ولايكتمون الله حديثا »
قرآن كريم

المخلوق : فلنواصل الحديث ياربى العظيم .. لقد جاء فى قرآنك الكريم ذكر لاديانك الثلاثة وكتبها السماوية ، التوراة والانجيل والقرآن . اسمح لى ان أسأل : أكان من الضرورى ان تنزل هذه الإديان والكتب الثلاثة ؟

لابد طبعا ان يكون لذلك حكمة .

الخالق : طبعا .. ولا تسألنى عن الحكمة .

المخلوق : ولماذا لا أسأل ؟

الخالق : لأنى خلقت لك العقل . وهو اعجب مخلوقاتى .. خلقته لك لتفكر به فى حكمتى .

المخلوق : ما أقوله هو من عقلى .. والعقل الذى وضعته فى رأسى درجات . وانا أذكر ماورد عن الخالق سبحانه وتعالى فى حديث قدسى خاطبت به العقل : ما خلقت خلقا اعجب الى منك ، وعزتى وجلالى لأكملنك فيمن احببت ولأنقصتك فيمن ابغضت ، ولست انا على ثقة من درجة حبك لى فكيف أثق اذن من درجة عقلى الذى سأفكر به فى شأن من شئونك ؟

الخالق : تكلم .

المخلوق : ايمانى بوحدانيتك نبع من ادراك عقلى لوحدانية اسلوبك .

فأسلوبك واحد لكل مخلوق حى .. انسان أو حيوان او نبات : أوجدت معه بوجوده نوعا من المعرفة الذاتية التلقائية فى صورة الغريزة . فأول ما يعرف هو أين يجد طعامه فيمد يده الى ثدى امه . وأين يجد الخطر على حياته فيخاف من النار . لأن ارادتك العليا يارب هى المحافظة على وجود ما أوجدته .

الخالق : طبعا

المخلوق : وهذه المحافظة تحتاج الى معرفة . وهذه المعرفة

توجدها انت فينا بالغريزة وأولى الغرائز فينا هى غريزة البقاء مقترن بك ثم يتم الوليد مرحلة الرضاعة . ويبدأ يحبو ثم يدخل مرحلة الادراك الذى يخرجه من ذاته الى ماحوله ثم الى اللعب بما يقع فى يده وقد يحطمه ثم يقف على قدميه ويسير ويبدأ فى النطق والاسئلة عما يراه ويدخل فى الطفولة وينمو ادراكه مع عضلاته ويربى فيه مداركه الاولى . الى ان يدخل فى مرحلة الصبا فيزداد ادراكه بنفسه وبالعالم الخارجي فيتلقى من اهله ومن اصدقائه مايجعله يعيش فى مجتمع صغير له نظامه ومعتقداته . الى ان يخرج منه الى مرحلة الشباب فتنمو فيه العاطفة وتنمو فيه من المشاعر ماينتج لونا من الحياة فيه جماله ومثالياته . ثم يدخل بعد ذلك فى مرحلة الرجولة فيتم فيه العقل واستقراره وعلى هذا الترتيب وهذا الاسلوب انزلت انت ياربى بحكمتك اديانك السماوية ، انزلت موسى والتوراة فى المجتمع الصغير بنظامه الطائفي وعقيدة الوحدانية التى نمت فى مرحلة الصبا الباكر للبشرية مع قوته المادية وكادت تطغى على قوة العاطفة فجاءت مرحلة الشباب بعاطفة الحب والمثل العليا فى شخص « المسيح » الى ان رأت حكمتك ياربى انه قد آن الاوان للبشرية ان تدخل مرحلة « الرجولة » بمعرفتها لحقيقة ذاتها بالعقل فجئت برسولك محمد فى سن الاربعين مكتملا بتجارب الحياة ممثلا للبشرية فى كل عناصرها وقلت له فى قرآنك : « قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى .. »

الخالق : استمر ..

المخلوق : ومرحلة البشرية هى آخر مراحل الانسان . وفى هذه المرحلة تكتمل . فى الانسان قوة تلك العضلة التى اسمها « العقل » الذى وصفته انت ياربى بانه اعجب ماخلقت .. لان الانسان به يعي ذاته وماحوله من خلقك . ثم يحلل ماهية الاشياء والمخلوقات الى أن يرقى الى ادراك وجودك وهذا الادراك الذاتى بالعقل هو قدرة الانسان التى أردتها له ويتميز به عن سائر وجودك بوسائل أخرى غير العقل والتفكير . ولذلك انت ياربى قد كررت ورددت فى قرآنك كلمة « البشر » وكلمة « العقل » ولم تجعل رسولك محمدا يقنع البشر بالمعجزات ، كما كان الحال مع الانبياء الذين سبقوه . عندما كانت البشرية فى مراحل الطفولة والصبا والشباب .

ولم يكن قد حان الحين بعد لاقناع البشر بوجود الله ورسله

بالادراك الفكرى وحده عن طريق العقل . وهذه هي حكمتك وهذا هو المعنى والسبب في وصفك لرسولك محمد بانه خاتم الانبياء وان الاسلام خاتم الاديان السماوية .. لأن البشرية بعد ان ادخلتها ياربي في مرحلة المعرفة الفكرية للخالق والمخلوق بعقلها المفكر فقد تركتها لهذا العقل . وهذا آخر مراحل البشرية .

الخالق : اكمل ..

المخلوق : ثم انك ياربي لايمكن ابدا ان تلغي ماخلقت وما أوجدت . ولذلك أبقيت كل المراحل السابقة موجودة في كيان البشرية والانسان . فالى جانب العقل الذى توجت به وجوده ابقيت معه الغرائز والعواطف .. وجعلت لكل منها ضرورة نافعة . كما ان لكل منها ضرره اذا طغى : وكان لابد من الاسلام وهو الاخير في اديانك من أن تناط به مهمة التوازن والتعادل بين الثلاثة : العقل والعاطفة والغريزة . أى الفكر والقلب والمادة وجعلت نبيك رسول الاسلام يمارس الثلاثة ويقول حبب الى من دنياى ثلاث : النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة » .

وفي قرآنك تحذير دائم بعدم الطغيان والغلو والاسراف مع السماح باستخدام هذه القوى الثلاث في حياة البشرية باعتدال [الخالق : تكلم

المخلوق : ثم انك ياربي تذكر في قرآنك دائما بهذا الترتيب : التوراة والانجيل والقرآن . مع أن القرآن ختام كتبك السماوية . فما قصدك من ذلك؟بقدر علمي وفهمي تريد ان نتذكر دائما ان ماخلقت وأوجدت في الماضي لاتريد الغاءه أو اعدامه .

انما أنت تضيف وتعدل ولاتلغي ما أوجدت . فوجود موسى وعيسى قبل محمد ليس معناه الغاءهما والا ماكنت ذكرتهما بالتكريم في قرآنك الخالد ولقد كانت المرحومة زوجتي تقرأ الكتب السماوية الثلاثة باعتبار ان القرآن ذكرها بالتكريم وهي حسنة الاسلام وكما جاء في سورة المائدة : « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم .. »

ولذلك اعتقد انك تحب من رجال كل دين ان يقرأوا كذلك كل الكتب السماوية الاخرى . فاذا امتنع عن ذلك أهل الاسلام بحجة التحريف في تلك الكتب الاخرى فليحددوا أماكن التحريف فقط وينبهوا اليها

(٢) الاهرام - ٨ مارس ١٩٨٣

ويمضوا في قراءة الباقي الذى لا ريب فيه .. اما الاهمال التام لما ذكره الله في قرآنه فلا اظن الله يرضى عنه . فالله تعالى خلق الأديان السماوية لحكمة . ولى صديق مسيحي كثير القراءة في القرآن فلابد من ان نتابع الله في حكمته حيثما كانت .. وانت يا من نفسى بيده ، وتعلم كل شيء عني ـ انا مخلوقك الضئيل المحب لذاتك العلية ـ كل اهتمامى الآن هو تتبع حكمتك ، ولقد ارادت حكمتك حث المسلمين على قراءة كتبك السماوية للتقريب بين اديانك . كما لم نفرق بين اجناس مخلوقاتك ، فقد قال رسول الله لرجل : انظر في وجوه القوم فنظر . فقال له النبي : ما رأيت ؟ فقال الرجل : رأيت ابيض واسود واحمر ، فقال رسول الله : انك لا تفضلهم الا بالتقوى ».. كما ان اللغة العربية ليست بشرط لدخول الاسلام فقد ارسل نبيك صلوات الله عليه برسالة الاسلام الى امم لا تتكلم العربية كالروم والفرس والحبش ، واوصى بقوله : « اطلب العلم ولو في الصين » اليس كذلك يا ربي ؟.

ولكن التفريق والتعصب والكراهية ربما كان المسئول عنها الحكام واتباعهم من بعض رجال الدين .. سامحهم الله .

الخالق : قل رأيك وتوكل على الله ..

المخلوق : لى سؤال ياربى الكريم .. وقد يبدو كانه اعتراض .. واعوذ بالله ..

اعوذ بك ان اعترض على حكمتك فان حكمتك هى الكلمة التى اجد فيها الراحة والحماية اذا اصابنى عذاب او الم شديد . فعندما فقدت ابنى الوحيد وانا في شيخوختى .. وسرت في جنازته . لاحظت من يسير خلفى ويحمل كرسيا . فقد اعتقد بعض المشيعين ان شيخا ضعيفا مثلى لن يقوى على احتمال صدمة موت وحيده الشاب . وقد يسقط على الأرض في اى لحظة وانا نفسى لا اعرف كيف صبرتنى يا ربى .

ووضعت في نفسى وجسمى القدرة على مواصلة السير حتى المقبرة . ولكنى اذكر انها كلمة واحدة كنت ارددها : « حكمتك انت يا ربى ».

نعم حتى الان فيما يصيبنى من الم ليس لى من دواء الا هذه الكلمة : « حكمتك .. لانى اومن اليوم ايمانا راسخا ان كل ما يصيبنى هو « حكمة » من لدنك وعندئذ ارتاح . واعفى نفسى من اى تساؤلات او تعليلات .. انها حكمتك وكفى . لانك لا تقدر شيئا

ولا تقضى قضاء الا وفيه حكمة . وكيف نرقى نحن البشر الى ادراك قضائك وقدرك ؟

الخالق : أحسنت لنفسك

المخلوق : حقا ياربي ـ الايمان بك راحة .. ومن صفاتك التي تمنحني اكبر قدر من الراحة ، صفتان : الحكمة والرحمة . اما حكمتك فتنفعني للتسليم بقضائك واما الرحمة فتنفعني باللطف فيه . وانا دائما اردد هذه العبارة : « اللهم انى لا اسألك رد القضاء ولكن اسألك اللطف فيه ». وانك تعرف مقدار شكرى لك وحمدى .. فقد كنت معي لطيفا رحيما .. ولكن العقل العقل يا ربى .. بقدر ما اعطيتنى الايمان راحة اعطيتنى العقل جهدا .

وهذا الجهد يأتي من حركة العقل . هذا المولد الكهربائي للافكار .. وتيار الافكار اما ان ينتج ، واما ان يصعق . ولذلك له نتائج نتحمل نحن مسئوليتها . فيها سعادتنا وفيها شقاؤنا .. وعلاقته بالدين خطيرة . فالدين عقيدة ثابتة ،. والعقل افكار متحركة .

وهذه الافكار تلازمها ادوات التحليل .. وهذا التحليل اذا مس العقيدة الدينية فتت اجزاءها فاهتزت وذهب ثباتها واصبحت ككل وجود عقلي يتعرض للمطالبة بالدليل والبرهان . وعندئذ يظهر الشك . لأن كل مطالبة بدليل او اثبات معناه ان هنالك شكا .. واعوذ بك يا ربى من الشك في الدين .

الشك أنواع

المخلوق : نعم هناك الشك المغتفر الذى قال فيه ابراهيم « ليطمئن قلبى » وهناك الشك الآثم للانكار والالحاد وشك يتبخر بالايمان .

المخلوق : نعم مثل شك عمر بن الخطاب ساعة ان علم بالاسراء وانك ياربي اسريت بعبدك ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى والمسافة بينهما لا يمكن أن تقطع في ليلة .

ورفض عقله ان يصدق ما حدث . وكاد ان ينضم الى الذين كذبوا وشنعوا وقد علم ابو بكر الصديق بما كان من عمر فأكد له ان الاسراء حدث فعلا .

ووقع عمر في الشك لحظة قبل ان ينتهى الى الايمان .. وما حدث لعمر قد حدث لى انا ايضا في مرحلة من حياتي نشط فيها العقل ونهض يؤدى عمله وهو عدم قبوله ما لا ينطبق عليه منطقة وقوانينه . الى ان انتهيت الى الايمان المستقل عن المقدرة البشرية والمتصل بالقدرة الالهية .

الله : وعقلك الآن ؟

المخلوق : عقلى الآن ياربى حدث له العجب .. اصبح يسير اليوم مع الايمان فى طريق واحد فقد تقدم العلم العقلى حتى استطاع الكشف عن بعض قوانين خلقك المعجزة التى كانت مجهولة من قبل ، فآمن الكثير من العلماء اليوم بك وبقدرتك وعظمتك .. واصبح لهم الفضل فى تقريبى اليك بالطريق العلمى اكثر من الطريق اللغوى الذى كان كل وسيلتنا الى معرفتك فى تلك المرحلة من مراحل المعرفة البشرية حيث لم تشأ حكمتك دخول البشر فى مرحلة العلم وقتذاك .. وانه ليبدو لى الان ان الطريق اليك فى المستقبل سوف يكون هو طريق العلم لأن اكتشاف المجرات التى تبعد عنا آلاف السنين الضوئية لم يدركه علماء لبشر الا اخيرا . ولا يمكن لأى لغة أن تصور لنا ذلك . والله العظيم هو خالق هذه المجرات والعلم هو الوسيلة الوحيدة لادراك ما خلق من هذه المجرات الضوئية . والله وحده هو الذى يسخر لنا وسيلة العلم لندرك عظمته فكيف لا نسعى بمشيته الى العلم .. ويصدق بذلك ما جاء فى القرآن

« انما يخشى الله من عباده العلماء » ∴

ولذلك عندى الآن اقتراح :

هو ان ينشأ قسم أعلى مستقل فى جامعة الازهر يختار له ما لا يزيد عن خمسين عالما من المتفوقين فى الرياضيات العليا من فيزياء وكيمياء وفلك وغير ذلك (وقد سبق ان حدث قبل ذلك فى ماضى الازهر ..) مع التعمق فى فلسفة الاديان ، ويرسلون للعمل فترة فى معامل العالم المتخصصة الى جانب كبار العلماء المتخصصين فى العلوم الكبرى ثم يعودون لينقطعوا للبحوث العميقة فى العلم والدين طول حياتهم بمرتبات تكون اكبر مرتبات الدولة ويخصص لهم من المعامل العلمية والمراصد الفلكية ودور العباده والمساكن من أحدث طراز . وبهذا نضع القاعدة المتينة للفلسفة العربية الاسلامية القائمة على العالمين الدنيا والاخرة فى أرقى مظاهرهما وخصائصهما .. وبذلك يظفر العالم العربى مهبط الاديان ببركتك ياربى خالق الكون .. ويصبح المسلمون جديرين بالاسلام .. والقرآن لا يفهمون ما فيه ولا يعرفونه الا كصوت جميل من القارئين ففهموا عكس حكمتك ياربى من ان الاسلام صالح لكل زمان ومكان ، فقد فهموا ان معنى ذلك هو الوقوف بالاسلام عند مرحلته

الاولى فاثبتوا بذلك انه صالح فقط لزمان واحد . فى حين ان ماقصدته أنت ياخالق الكون هو ان الاسلام دين البشر كافة صالح للتحرك فى كل زمان ومكان كتحرك النجوم فى السماء وتحرك الانسانية نفسها من درجة الجهل الى درجة العلم . ولا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون .. والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأ نفسهم .. وعلى رجال الدين ان يفهموا المسلمين ان صلاح الاسلام ليس فى التجمد فى زمن واحد مضى بل فى الحركة المتقدمة مع تنقية ما يفسد ويتعثر بالحركة الطائشة .

.. واخيرا ؟

المخلوق : اخيرا ياربى اتنبأ للمسلمين اذا لم يغيروا ما بأنفسهم فانك كما نقلت المسيحية الى روما سوف تنقل الاسلام الراقى الى حيث الرقى والعلماء الذين ورد ذكرهم فى قرآنك بقولك « انما يخشى الله من عباده العلماء » .

الفصل الثانى
آراء وتعليقات لكبار رجال الكتاب الاسلاميين حول حديث .. مع الله
ـ لتوفيق الحكيم ـ

منذ بداية الحلقة الأولى للأديب المفكر توفيق الحكيم .. لحديث مع الله .

انبرت الاقلام تتصدى ، لهذا الحديث المفاجىء غير المتوقع لكاتب من كبار كتا ب مصر والأمة العربية .. بعد أن تجاوز الثمانين من عمره .. وكأنه يريد أن تكون الخاتمة لفكره وقلمه سقطة .. بل سقطات لاتغتفر .. تاريخيا واسلاميا لمفكر عملاق كتوفيق الحكيم .. الذى علمه الله بعد جهل .. علما وفكرا لم يكن يعلمه من قبل .

ولما كانت سلسلة « حديث مع الله » أصابت المسلم بذهول المفاجاة .

وعنفوان الدهشة لتجرأ الحكيم .. واستباحته لنفسه .. حديث مع الله .. لأول مرة بعد هذا العمر المديد فى كتابات خطها قلمه بين جد وهزل .. وكما يقول توفيق الحكيم نفسه فى أول حديث مع الله . نشرته جريدة الاهرام .

« اذ بدأ الحديث .. باعتراف يعبر عن الندم والتوبة لحياة عاشها بين الجد والهزل وكأنه لم يفعل خيرا طوال أكثر من ثمانين عاما .. جاءت بكلمات قال فيها ، نعم ياربى .. لن اكتمك حديثا ، ولم يبق لى فى حياتى الان سوى الحديث معك ، فقد عشت الحياة التى قدرتها لى أكثر من ثمانين عاما . جعلت أهيم خلالها فى كل واد حاملا قلمى أملأ به الاوراق بين جد وهزل ، ولا أظن أنى فعلت بذلك خيرا ..

ولكن حسنا أن يكون الحديث فى بدايته كهذا . اقرار واعتراف وكشف حساب لما قدم فى سنى حياته .. ولا بأس عليه ولا حرج ، فهذا امر مطلوب لكل انسان أن يحاسب نفسه وأن يتوب قبل الرحيل من هذه الحياة .. ولكن من وجهة نظرنا كان يجب أن تكون بداية الحديث يتصدر سلسلته « مناجاة مع الله .. وليس حديث مع الله ، فالمنجاة باب مفتوح للناس جميعا حتى العصاة الى يوم القيامة ..

ولو أن الحكيم وضع لسلسلته عنوان مناجاة مع الله واتجه فى إطارها والتزم شروط المناجاة المنصوص عليها .. لافاد الناس جميعا .. وما أثار عليه تلك الضجة الكبرى لحملة الاقلام من كبار الكتاب الاسلاميين ورجال الدين .. وربما لم نلحظ عليه .. ملاحظات تذكر أو تسىء للاسلام ورجال الدين .

وما رمي المفكر توفيق الحكيم بالمآخذ التى اخذ بها وأخذت عليه وترجمت فى صورة ملاحظات تارة ، أو ردود عنيفة من أقلام لمفكرين اسلاميين تارة أخرى ، تشدهم اهلالة الحكيم منذ البداية فى « حديث مع الله » .. ؟ ؟ ما بين ملتزم بالمنهج العلمي البحت يفند كل كلمة جاءت فى أحاديث الحكيم ليرد عليها بالبرهان والأدلة لابطالها .. وما بين من أخذ يضع الملاحظات لهذا الحديث .. واضعا لها ردودا تنم عن التزام جم فى المناقشة الموضوعية وكأنه تلميذ أمام استاذ يكن له التقدير والاحترام .. رغم حدة المناقشة .. وما بين اقلام لنقاد يناشدون الحكيم العدول عن الحديث مع الله .. ويقترحون عليه فكرة « مناجاة مع الله » معللين ذلك أن المناجاة .. هي وسيلة من وسائل الدعاء الى الله بالتوبة .. رغم حدة الهجوم الاسلامي الحاد على الحكيم فيما ذهب اليه من مخالفة صريحة فى زعم هؤلاء ..

وايا كان الرأى فيما يذهب اليه الحكيم فى (حديث مع الله) أو النقد المتعدد المختلف فى الأسلوب والطريقة والحوار أو المناقشة لكل حملة الاقلام الذين تصدوا لسلسلته فى حديث مع الله .. منذ البداية .. فنحن قد نتفق معهم أحيانا فى كل ماذهبوا اليه ، وقد نختلف معهم أحيانا فى طريقة الحوار والنقد .. وعلى أية حال فالخلاف فى الرأى حق مكفول لهم جميعا .. ولولا هذا لما استقام الامر ، ولما خرجت الأمة بنتائج قوية ثابتة المبنى والمعنى ، ولكل له فهم فى دينه واسلامه وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل « انما انا قاسم والله عز وجل معط » . « اى يعطي الفهم » .

المهم أن يصل أمر حملة هذه الاقلام الى بداية الطريق الصحيح .. فيما يقوم اعوجاج المفكرين فى افكارهم وكتاباتهم .

ومن بين حملة هذه الاقلام ، الكاتب الاسلامي الكبير .. أحمد بهجت .. وغيره الذين بادروا بالتصدى والملاحظة فيما ذهب اليه توفيق الحكيم فى سلسلة « حديث مع الله » فهو أول كاتب مصرى أعلن المبادرة للرد فى صورة ملاحظات على ماكتبه الحكيم فى حديث

« مع الله » وأخذ يفندها ، بالدليل والبرهان يرد على مزاعم الحكيم ..

وقد بدأ الكاتب الاسلامى الكبير الردود على هذه المزاعم بلمسة عتاب واعتراف للاستاذ الحكيم بأنه من المعجبين وواحد من آلاف التلاميذ له ..

ولنترك الحديث للاستاذ (أحمد بهجت) الذى يقول فى ملاحظاته لحديث الحكيم مع الله ! !

١

اعترف اننى واحد من آلاف القراء المعجبين بتوفيق الحكيم واعترف اننى قرأت كل كتاباته واستمتعت بها . ولازلت اعتبر نفسى فى مقام التلميذ الذى يتلقى عن استاذه .. وقد قرأت مقالته « حديث مع الله » وهو فى الحقيقة حديث مع النفس .. واذا كنت سوف اتعرض له بالنقد ، فانما أفعل ذلك حبا له واحتراما لفنه .

وقديما قال على بن أبى طالب : رحم الله من أهدى الينا عيوبنا .. ولقد أحس توفيق الحكيم فى بداية مقاله بما يمكن ان يثيره المقال،سيغضب بعض المتزمتين لاجترائى فى زعمهم على مقام الله سبحانه وتعالى خصوصاوان الحديث سيكون بغير كلفة .

أحس توفيق الحكيم بهذا كله ، وان رأى أن مبرره فى ذلك هو الحب فهو سيخاطب الله مخاطبة الحبيب لحبيبه ..

ولا بأس ان يخاطب الانسان الله مخاطبة الحبيب لحبيبه .. ان الحب لله تعالى مطلوب ، ولكن التوقير والخوف أمور مطلوبة أيضا اذا تعلق الأمر بالحب الالهى .. (ولمن خاف مقام ربه جنتان) .

ولقد بدأ توفيق الحكيم مقاله بمقدمة حدثنا فيها عن العلم فكشف عن انبهاره الطفولى الجميل بالعلم ، هو انبهار له مايبرره ، ثم انه دلف بعد ذلك الى الاية الكريمة التى تقول : « انما يخشى الله من عباده العلماء .» فاذا به يقع فى أول خطأ .

ان اية « إنما يخشى الله من عباده العلماء » تعنى ان أشد الناس خشية لله وتوقيرا له وحبا لذاته هم العلماء . لأنهم يعرفون مالا يعرفه الجهلاء عن قدر الله وعظمته .

أما قراءة هذه الاية بالرفع ، بمعنى ان الله يخشى العلماء ، حتى لو كان فيها استعارة . فهذا أمر فيه اجتراء على الله تعالى ..

ان الله يحب العلماء ، ويجعل مدادهم كدماء الشهداء ، ولكن الاستعارة هنا لاتجوز ، والقراءة بالرفع لاتجوز لانها صرف لمعنى الاية الى عكس معناها .. وهذا لايجوز .

وقد افلت هذا المعنى الدقيق من الاستاذ توفيق الحكيم فقال « وسواء اكان التقدير والاجلال من العلماء لله أم من الله للعلماء فان المعنى هو ان هناك اتصالا راقيا بين المخلوق والخالق » .

نعم هناك اتصال .. ولكن معنى الاية يبقى هو معناها ، تظل الخشية في جانب العلماء ، وتعالى الله علوا كبيرا على الخشية .. وهى شعور انساني يتقدس الله عنه .

هذه أول ملاحظة على المقال .. وتبقى ملاحظات أخرى .

٢

يقول الاستاذ توفيق الحكيم في مقاله « حديث مع الله » بعد ان تحدث عن ايمان علماء الغرب . ولكن ياربى بعض رجال الدين عندنا يرون غير ذلك ، يرون مصير هؤلاء العلماء من غير المسلمين النار لانهم لم يقولوا لا اله إلا الله شهادة لغوية ، مع ان العلماء قالوها بالممارسة وليس باللفظ .

بعد هذه المقدمة خلص استاذنا الكريم إلى نتيجة تقول انه يتنبأ بأن رجال الدين في المستقبل سيكونون من رجال العلوم .. حتى يقتربوا من الله عن طريق اسلوب الخلق لا اسلوب اللغة ..

ونحن لانتفق مع هذا الرأى ، فمن الذى قال أن شهادة اللغة هي المعتمدة عند الله ، ومن الذى قال ان القول أهم من الفعل .. ان في القرآن الكريم نصا صريحا بالنسبة لليهود والنصارى والصابئين .. « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . »

بعد هذا النص .. من الذى يقول ان علماء النصارى أو اليهود المؤمنين يذهبون الى النار لانهم لم يشهدوا بالوحدانية .

هذه ملاحظة .. وهناك ملاحظة أخرى ..

يسأل الحكيم في الحديث .. هل الحساب للجميع ويضع أمام قول الله : طبعا .. ألم تقرأ آيتى في القرآن وكلمة « طبعا » تعنى تأمين الله تبارك وتعالى على قول المخلوق ، وليس هذا هو اللائق في حق الله عز وجل ..

أيضا يقع استاذنا فى خطأ بالنسبة لسيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام .. فهو يرى ان الانبياء معصومون من الفعل وليس من النية .. فان نيته اتجهت إلى الفعل ولكنه توقف عنه حين رأى برهان ربه .. وهذا تفسير لايليق بعصمة الانبياء.. وفى سورة يوسف كما قال العلماء تقديم وتاخير ينفى تمام النية او اتجاهها إلى الشر ..

أيضا نلاحظ فى الحديث ان الحكيم يقول لله : وانت خالق الكون .. اى فوق القانون .. فيرد الله تبارك وتعالى قائلا : لا : انا لست فوق القانون ولكنى الحريص عليه ..

ونحب ابتداء ان نقرر ان الله تبارك وتعالى خلق القانون وهو فوقه ، وليس القانون سوى عبدالله ، اى ان القانون لايلزم الله ، ولايقف أمام طلاقة المشيئة الالهية .. انما هو خاضع لله تعالى شأنه شأن بقية الاشياء .. اقرأ قوله تعالى « لا يسأل عما يفعل »

هذه بعض ملاحظات جزئية .. وتبقى ملاحظات عامة..

٣
ـ ملاحظات عامة ـ

يذهب الاستاذ توفيق الحكيم إلى راى خطير فيما يتصل بنسبية الاديان .. فهو يقول : « الله الذى خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن . وجاء فى تفسير القرطبى انها سبع أرضين فوق بعض بعض دعوة اهل الاسلام بأهل الارض العليا ، ولاتلزم من فى غيرها من الأرضين ، وان كان فيها من يعقل من خلق مميز .

يفهم من هذا ان الاستاذ توفيق الحكيم يذهب الى الرأى القائل بنسبية الاديان ، فيقصر الاسلام على الأرض العليا . ولايلتزم غيرهم به ..

ولو اننا اكملنا الاية لاتضح الموقف وانتفت النسبية ان بقية الاية تقول « يتنزل الامر بينهن »

ان أمرا واحدا يتنزل بينهن .. وهو امر يلزم جميع الخلائق الا من لم تبلغه الدعوة لسبق الرحمة الالهية فى قوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا . »

أيضا يسأل توفيق الحكيم : هل هناك حساب على النية ، فيقول الله تعالى طبعا ولكنى غفور ونحن لانعلم ان هناك حسابا على

النية فى الاسلام ، ان الاعمال تحاسب على النيات ، لكن النية وحدها بعد العمل لاحساب عليها الا فى جانب الخير ، فمن هم بسيئة ولم يعملها فلا حساب عليه ولا عقاب له ، الا اذا كان عدم فعلها خارجا عن ارادته .. اما اذا امتنع بارادته فلا عقاب هنا ، بل ان الله الكريم يحتسب له عدم ارتكاب المعصية حسنة ويثيبه على الكف .

أيضا يحدثنا توفيق الحكيم فى حديثه مع الله فيقول ان الغريزة لايصد طغيانها الا الدين والعلم ، اما ارادتك الالهية ياربى فهى التعادلية بين الثلاثة ، فلا تطغى قوة على قوة .

ولنا على هذه العبارة ملاحظة ، هل العلم يشترك مع الدين فى صد طغيان الغريزة .. هل صحيح ان قوة العلم تقف ضد طغيان الغريزة أم انها توجه لخدمة طغيان الغريزة كما نرى فى عالمنا .

أيضا من الصعب ان ننسب إلى الارادة الالهية فلسفة انسانية اهتدى اليها مفكر حتى لو كان هذا المفكر هو توفيق الحكيم ..

ان احدا لايعلم سر الارادة الالهية .. وكل تصور فى هذا المجال ليس الا سباحة فى بحر عظيم لانجاة منه الا بالتسبيح .

ايضا لم يكن لائقا ان يضع الحكيم هذه الجملة الله وبعد ياهذا .. اطلبت الحديث معى لتكلمنى فيما انا أعلم به منك .. فيرد الحكيم : او كان من الممكن ان احادثك فيما لاعلم لك به .. وانت ياربى العظيم العليم بكل شىء .

ان السؤال والرد لايليقان ..

جريدة الاهرام ـ ٦ مارس ١٩٨٣

أيها الكاتب الكبير :
قف عند هذا الحد فمقالك تجاوز الحقيقة

ويقول الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر معقبا :فقد قرأت فى جريدة الأهرام يوم الثلاثاء مقالا بعنوان : « حديث مع الله » للاستاذ توفيق الحكيم .

وفى هذا المقال يتحدث الكاتب الكبير بكثير من العمق والغموض مع الله . وهذا أمر خطير لان الحديث فى هذا المجال بمثل هذا الاسلوب محفوف بالمخاطر ، والمهالك ، وهو بحر خاضه الفلاسفة والمفكرون من قبل فتقاذفتهم أمواجه والقت بالكثير منهم فى مهاوى الزيغ والضلال .

ولقد وقفت طويلا متعجبا فى قول الكاتب الكبير انه سوف لا يخاطب الله بالوصف العظيم الذى يليق بعظمته ، وانما يخاطبه مخاطبة الحبيب لحبيبه « فهل من الحب لله ان نتناسى عظمته وجلاله ، فنحاول ان نصعد بانفسنا الى مستواه الرفيع أو ننزله الى مستوانا العادى ؟ واذا كان الله سبحانه قد خاطب نبيه الكريم بالوصف العظيم .. فلم يقل له يامحمد وانما قال له : ياأيها النبى وقال له ياأيها الرسول .. ثم قال له : « وانك لعلى خلق عظيم » فهل يليق بنا ان نتناسى فى خطابنا لله الوصف العظيم الذى يليق بعظمته ؟ ووقفت بعد ذلك متأملا ومتعجبا الى قول الكاتب الكبير « انه سمع ردا من الله عليه وانه اعتقد بعد ما سمع هذا الرد من الله ان الله قد سمح له (أى للاستاذ توفيق الحكيم) « ان يدخل معه فى حديث » .

وانى لأ تساءل .. هل سمع هذا الرد من الله ؟ أو سمعه من جبريل الذى انقطع نزوله منذ ختمت الرسالات بمحمد عليه الصلاة والسلام اننا لننتظر من الكاتب الكبير الجواب فى ضوء الآية القرآنية : « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا » « الآية » .

ثم وقفت اخيرا امام تفسيره للآية القرآنية : « ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه » وقوله : « ان يوسف عليه السلام قد اتجهت نيته فعلا الى ارتكاب الفاحشة لولا ان الله منعه من ذلك » مع ان هذا التفسير مردود بصريح القرآن الكريم حيث يبين الله عز وجل فى نفس السورة موقف يوسف ومدي ايمانه فى الآية

التى سبقت هذه الآية حيث يقول الله سبحانه : « وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربى احسن مثواى انه لا يفلح الظالمون » .

بل ان امرأة العزيز قد اعترفت بانها هى التى راودته عن نفسه وانه ابى واستعصم ولم تتدنس نيته بشىء من السوء » وفى ذلك يقول الله عز وجل عن امرأة العزيز وما اعترفت به امام نساء المدينة « قالت » فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم .. فمهلا أيها الكاتب الكبير وارجو ان تقف عند هذا الحد فان المقال الذى كتبته قد تجاوز الحقيقة الى ما هو اكثر من الخيال ومهما قيل من أن الكلام قد يحمل فى جملته ـ على المجاز والكناية فان المجاز والكناية بمثل هذا الغموض الشديد قد تعرض المجتمع الى الانحراف عن الجادة والبعد عن المنهج السوى الرشيد .

هذا ومن الله العون ، وبه التوفيق .

وتعليق ..
توفيق الحكيم ! !

أطلعونى على هذه الرسالة من فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر :

فوجدت من واجبى عدم اهمال التعليق عليها .. فهى رسالة رسمية من جهة مختصة ومن مسئول فاضل .. فأقول ان هذه الآية من سورة يوسف فى القرآن الكريم قد اختلفت فيها التفسيرات . وقد جاء فى « القرطبى » بشأنها الآتى :

قال « أبو حاتم » كنت اقرأ غريب القرآن على أبى عبيدة فلما اتيت على : « ولقد همت به وهم بها ـ الآية ـ قال أبو عبيدة : هذا على التقديم والتأخير ، كأنه اراد ولقد همت به ، ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها . وقال احمد ابن يحيى : أى همت زليخاء بالمعصية وكانت مصرة ، وهم يوسف ولم يواقع ما هم به ، فبين الهمتين فرق .

وقيل : هم بها تمنى زوجيتها . وقيل هم بها أى بضربها ودفعها عن نفسه ، والبرهان كفه عن الضرب ، اذ لو ضربها لأوهم انه قصدها بالحرام فامتنعت فضربها . وقيل ان هم يوسف كان معصية . وأنه جلس منها مجلس الرجل من امرأته ، والى هذا القول ذهب معظم المفسرين وعامتهم ، فيما ذكر القشيرى ابو نصر . وابن الانبارى والنحاس والماوردى وغيرهم .

قال ابن عباس : حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن ، وعنه : استلقت على قفاها وقعد بين رجليها ينزع ثيابه . قال سعيد بن جبير : اطلق تكة سراويله . وقال مجاهد : حل السراويل حتى بلغ الاليتين ، وجلس منها مجلس الرجل من امرأته . قال ابن عباس : ولما قال : « ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب » .

قال له جبريل : ولا حين هممت بها يايوسف ؟ فقال عند ذلك : « وما ابرىء نفسى . قالوا : والانكفاف فى مثل هذه الحالة دال على الاخلاص واعظم للثواب . قلت : وهذا كان سبب ثناء الله تعالى على ذى الكفل . وجواب « لولا » على هذا محذوف ، أى لولا ان رأى برهان ربه لامضى ما هم به .

وحديثى مع الله المطلع على ما فى أعماق قلبى توقير ليس كمثله توقير لا يمكن ان يكفى عندى للتعبير عنه بالالفاظ التى يريدها

الناس . وهل أخشى الناس والله أحق أن اخشاه ؟
هذا كل تعليقي ، وليس عندى ما أزيد عليه ..

وما ابرىء نفسى »

ان كان فيما صدر وما يصدر عني ما يغضبك ياربى الكريم الرحيم . وانه ليسعدني ويريح نفسى ان يدرس هذا الامر ويحقق ويبحث ليطمئن قلبي .. فليس لى من مطلب الآن الا مرضاة الله سبحانه وتعالى .

جريدة الاهرام ـ ٨ مارس ١٩٨٣

اهكذا تختم حياتك أيها الحكيم ؟ ؟

ويقول الأستاذ عمر التلمساني رئيس تحرير مجلة الدعوة .. ردا وتعليقا على ما كتبه ، الكاتب توفيق الحكيم .. فى حديث مع الله :

عندما طالعتنا الأهرام ، بان الأستاذ توفيق الحكيم ، سيكتب كل ثلاثاء تحت عنوان (حديث مع الله) انقسم القراء فرقتين ، فرقة قرات له كثيرا ، فايقنت ان صاحب تلك القصص العظام والفخام ! ! لن يخرج عن مالوف ما قراوه له ، مما لا يمكن ابدا ان ينجم عن عنوان ما كتب ، وما سيكتب ، وفرقة داخلها أمل قبول توبة التائبين . وان ما سيكتب سيكون تكفيرا عما كتب ، والله غفور رحيم . ولكن خاب الأمل عند الفرقتين . فأولهما اذهلها المكان الذى وضعه الكاتب لنفسه مع الله .. المخلوق مع الخالق .. الذى لم يؤت من العلم الا اقل القليل مع الذى أحاط بكل شىء علما .. جلا وعلا ، ذهل الفريق الأول مما تجرا عليه الكاتب فى الحلقة الأولى من سلسلته ، بعد ان كان يظن ، انه فى اخر حياته ، سيقف رجلا تائبا ، لا أن يجعل الحديث مع الله ، كحديثه مع افراد قصصه المعروفة ، المعروفة ضررا او نفعا للشباب . شباب الجيل المسكين ، الذى كان يامل فى كبار كتابه غير ما قرا ويقرأ لهم ، أما الفرقة الثانية . فقد ضاع ما أملته من هدى على يدى مسلم جاوز الثمانين ! ! ! وتحقق لدى الفرقتين ، امر واقع واحد ، وهو ان الأستاذ توفيق الحكيم ، هو الأستاذ توفيق الحكيم . واسأل الله حسن الخاتمة لى وله وللمسلمين اجمعين .

هل اعجبك ايها القارىء ان يقول (لقد سمعت ردا من الله ، أو خيل الى ذلك ... وهذا يكفى ليجعلنى اعتقد ان الله قد سمح اخيرا ان يدخل معى فى حديث) انه لم يقطع لنا بانه سمع أو خيل اليه انه سمع ! ! ! اهذا هو أسلوب الحكماء فى التارجح بين النفى والايجاب ، من الحقيقة والخيال ، ونعمت الحكمة ونعم الحكيم ، ان كان قد سمع ، فقد وضع نفسه موضع الكليم موسى عليه الصلاة والسلام ، ويإله من فهم ، هل نسى هذا المتحدث مع الله ، ان هذا العليم الخبير قد قال بالقول القطعى الثبوت القطعى

الدلالة ، « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء انه على حكيم » ، فاذا كان هذا هو كلام الله وقرآنه ؟ ؟ أم كلام الكاتب الضليع الفيلسوف الحكيم ؟ ؟ أما أنا فليس لى خيار ، فالله عندى أولى بالتصديق والتسليم بكل ما يقول ، كائنا من كان او انتحل لنفسه ، مالا يمكن ان يقره عاقل او حصيف . وأما ان كانت الأخرى فكيف يطلب منا السميذع النحرير ، ان ناخذ بكلام مصدره الخيال ، ولئن أباح الأستاذ الحكيم لنفسه ، ان يبني كلامه ، على سباحة فى عالم الخيال ، فهل يبيح لنفسه الاستخفاف بعقول القراء ، ظنا منه انهم ضاربون مثله فى بيداء الخيال ، وهل بمثل هذا الاسلوب يتكلم العقلاء مع الناس ليقنعوهم عن طريق الخيال بصواب الاعتراض على تصرفات من « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » لا حول ولا قوة الا بالله ، وعوضنا الله خيرا فى عقول اساطين الكاتبين ، كما يقال عنهم . وان كانوا لا شيء عندى فى هذا المجال ، يا دكتور : ان جاز ان يكون الخيال اساس الحكايات والروايات والتندرات ، التى تاتي بالمئات ، فلن يرضى مسلم لنفسه ان تكون وسيلته مع الله قائمة على الخيال .

هذا على ان الأستاذ يذهلنا بقوله انه خيل اليه ان الله قد سمح بالرد عليه . وهل غاب هذا عن ذهن وذكاء الأستاذ الحكيم ان الله يسمعه ويراه ويعلم ما هو عليه من قبل ان يولد . ان الله قريب فى كل لحظة من لحظات الليل والنهار يسمع دعوة الداعي اذا دعاه ، ويجيب من ناداه لا يتوقف علمه ولا كلامه على من يخيل اليه مجرد خياله انه سميع قريب مجيب . اين كنت طوال الثمانين من عمرك ، الم تكن تعلم ان الله ، مع من ذكره « فاذكرونى اذكركم » هل غاب ذلك عن ذكائك وفطنتك يالك من حكيم ! !

الأستاذ الحكيم : انك ان تبين لنا معنى قولك ان الاديان نسبية تختص بها ارض دون أرض ان الاسلام جاء لاهل هذه الأرض التى نعيش وتعيش عليها ولم يخاطب به الله الا البشر الموجودين على سطح هذه الأرض . هذا الى ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم لم يخاطب أحدا بهذا الدين الا ابناء ادم الموجودين فوق الأرض التى عاش عليها اينشتين ويعيش عليها كاستلر ، مثلاك اللذين قدمتهما لنا وكيف نعلم على وجه اليقين ان هناك اديانا غير ما نص عليه القرآن أم انك تريدنا على أن نسير

معك في عالم الافتراضات ثم ما الداعي الى هذه الزعزعة الدينية التي جئت لنا بها على اخر الزمان ، الا يكفي المسلمين حملات ظالمة وتشكيك مريب ، حتى تضاعف متاعبهم بمثل هذا الكلام .

اني اعتقد تماما انك مسلم وكل المسلمين وانت منهم يؤمنون بكل حرف جاء في كتاب الله والصحيح من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت كذلك ولاشك،وقرآننا والذى انزل عليه يؤكد ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وهذا القول الواضح لا يحتاج الى تفسير او شرح أو بيان . كما ان الله يقول ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وغير ذلك من الآيات في هذا المعنى كثير وكثير . فماذا تريد بذلك (ان من الطبيعي والمنطقي ان مثل هؤلاء العلماء المؤمنين بك سوف يكون مصيرهم مغفرتك وانت الغفور) اذا فهذا دين جديد لأن الاسلام يستلزم لأن يكون اسلاما الشهادة بالا اله الا الله وان محمدا رسول الله . أى أن المسلم لا يكون مسلما الا اذا شهد بالوحدانية والرسالة المحمدية وبغير ذلك لا يكون مسلما .

وقد جاء في القرآن ان المشركين يؤمنون بوجود الرب العظيم ويقولون عن الهتهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فهم قد امنوا بالله ولكنهم كفروا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فكان جزاؤهم النار عقوبة ومصيرا كما ان القرآن تحدث عن التثليث واليهود بما قد قرأته فعلا وعلمته وامنت به كمسلم فهل علمت سيادتك ان علماءك الذين تحدثت عنهم ، وقلت على اساس من المنطق الذى جئنا به ، سيغفر الله لهم كفرهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أم انك علمت منهم علم اليقين انهم اسلموا بها ولكنهم لم يشهروا هذا الاسلام الا ترى معي ان دخول الجنة والرضاء من الله قاصر على المسلمين ، حتى العصاة منهم والمؤمنين التائبين أم لك في هذا المجال راى اخر اخبرنا ماجورا مشكورا ياأستاذ الجيل ويا ليتك اكتفيت بهذا بل خطات كل علماء المسلمين من الأول الى الآخر لانهم يرون ان مصير غير المسلمين النار هل ترى سيادتك ان بلاهة المسلمين وصلت الى حد تكذيب كل علمائهم وتصديق توفيق الحكيم بربك قل لنا ما تريد . وهل يفوت ذكائك ان الله لا يقبل الشهادة اللغوية اللفظية ، ان لم يقترن بها التصديق القلبى ، وان هذا حكم الله في هذا الفريق من الناس بانهم المنافقون حقا،الا تراك تجاوزت الحدود عندما ذكرت ان

العلماء من النوع الذى تحدثت عنه القدر على اقناعنا بوجودك ووحدانيتك ثم اغفلت اغفالا تاما ان الأديان السماوية لا تاتى إلا على ايدى الانبياء والمرسلين دون العلماء علماؤك فقط اى شىء الذى تقول اتق الله فى ابناء دينك أو فى دنياك ايها المسلم وما اغرب شأنك وانت تبنى احداث المستقبل على التنبؤ لانك تتنبأ فهل من نبى مودرن ، ان ابا بكر وعمر رضى الله عنهما لم يكونا من رجال العلوم الذين تعنيهم و مع ذلك فهما سيدا أهل الجنة من غير الانبياء والمرسلين ماذا جرى يادكتور ، واستحلفك بربك ان تدع المسلمين ودينهم وفهمهم فيه وحسبهم ما يلقونه من اعداء الاسلام .

انك تأسف اسفا شديدا لأن الله لم يجعلك من رجال العلوم الذين تعنيهم ، اليس هذا اعتراض على ارادة الله ، رغم اعتذارك له بانك لا تعترض عليه . وكيف لأية عقلية ان تصدقك انك لا تعترض ، فى نفس الوقت الذى فيه تعترض ، اليس هذا تناقضا الم تعلم ان الله لا يسال عما يفعل وهم يسالون باللعلم الزاخر الذى يجعل صاحبه يعترض وهو يقول انه لا يعترض كان كلامك قاصرا على اللفظ واللغة فلماذا لا ترضى عن علمائنا الذين طلبوا منا الاسلام باللفظ واللغة مع انهم اشترطوا النية كذلك الى اين تريد الذهاب بنا فى ديننا .

ومصيبة المصائب ان يذكر سيادة الدكتور وعلى لسان الخلاق العظيم (فانا الله لست فوق القانون ولكنى الحريص عليه) ان الله سبحانه لم يقل مثل هذا الكلام حتى ولا لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم . الله ليس فوق القانون حتى قانونه هو فاين هو إذا ! ! تحت القانون ام الى جانب القانون ام فى شماله الشرقى أو جنوبه الغربى والعياذ بالله ، يارجل ان الله فوق كل شىء لانه الأول الذى ليس قبله شىء والآخر الذى ليس بعده شىء والظاهر الذى ليس فوقه شىء والباطن الذى ليس دونه شىء وهو ليس كمثله شىء .

انى لن اقرأ لك بعد هذا وأطالب المسئولين جميعهم بما فيهم رجال الأزهر الشريف ان يمنعوا الاسترسال فى نشر مثل هذا الكلام انها ليست حرية رأى تلك التى يتعلل بها المتناولون لمقدساتنا الدينية ، ولا خير فى آية حرية تؤدى الى نشر مثل هذا الكلام فى صحف بلاد دينها الرسمى الاسلام ، وشرع الله مصدرها الرئيسى

فى تقنين القوانين . الحلال بين والحرام بين . ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ، ومن وقع فى محارم الله فمصيره معلوم غير مجهول . انى اسمو بك وابرأك ولا ارضى لك ان تكون ممن « أضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة والسلام على من اتبع الهدى والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

جريدة النور - ٩ مارس ١٩٨٣

أعرض عن هذا واستغفر لذنبك انك كنت من الخاطئين

وفى معرض الردود والتعليقات على ماكتبه الاستاذ توفيق الحكيم فى حديث مع الله .. يقول الاستاذ« الحمزه دعبس » رئيس مجلس ادارة جريدة النور الاسلاميه فى مقال كتبه :

ومع شدة اعجابى بالاستاذ توفيق الحكيم فانى قد صدمت بما كتبه أمس الثلاثاء السابق عليه تحت عنوان (حديث مع الله) تعالى شأنه وجل سلطانه جعله على هيئة حوار بادر فسجل انه يقيمه بينه وبين الله تخيلا وتاليفا ولم يفته ان يصم من يخالفه فى هذا الرأى بانه من المترمتين .

وبدأ بطرح قضية محسومة فى الاسلام ولكن بدا مما كتب انه لايعلمها وهى المتعلقة برؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكد اننا سنراه فى يوم القيامة جهرا فى حديث متفق عليه روى عن جرير بن عبد الله عنه قال : (كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال : انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته .. فان استطعتم ان لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) ويتضح من هذا الحديث الشريف ان من يواظب على صلاة الفجر والعصر فانه سوف يرى الله سبحانه وتعالى جهرة يوم القيامة ولن يجد الناس ضيما ومشقة فى رؤيته فلن يتزاحموا عليه لانهم لايتزاحمون ـ والله المثل الاعلى ـ لرؤية البدر ليلة اربع عشرة .. وذلك مصداقا لقول الله تعالى فى سورة القيامه(وجوه يومئذ ناضرة .. الى ربها ناظره) تلك الوجوه التى عملت الصالحات فى الحياة الدينا تشع نضارة يوم القيامة ويتم الله نعمته عليها فاذا بها اليه ناظرة .

وعن صهيب الرومى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اذا دخل اهل الجنة) الجنة يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا ازيدكم ؟ فيقولون : الم تبيض وجوهنا ؟ الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب ، فما اعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم) رواه مسلم .

وذلكم الثابت من القران والسنة قد غاب عن الاستاذ توفيق الحكيم وراح يتخيل ان رسول الله صلى الله علية وسلم لم يرد على

المؤمنين الذين سألوه عما كانوا سيرون ربهم فى الاخرة وانه لم يشأ ان يخيب املهم فلم يقل لهم كيف ترون من ليس كمثله شىء وكيف وانتم شىء ان تدركوا من ليس بشىء ؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ثم راح الاستاذ الحكيم يهيد بالعالمين العلمانيين « اينشتين وكاستلر » ويعلن انهما مؤمنان وانتهى الى نتيجة غاية فى الغرابة عندما اعلن اعتقاده (انه من الطبيعى المنطقى ان مثل هؤلاء العلماء المؤمنين بك سوف يكون مصيرهم مغفرتك وانت الغفور) ويستطرد فيكشف عما فى عقله الباطن فيقول : ولكن ياربى ان بعض رجال الدين ـ يقصد علماء الدين اذ ليس فى الاسلام رجال دين بالمعنى المعلوم فى النصرانية ـ عندما يرون ان مصير هؤلاء العلماء من غير المسلمين هو النار لانهم لم يقولوا لااله الا الله شهادة لغوية مع ان العلماء قالوها بالممارسةوليس باللفظ .. واكد ان علماء الدين لايعرفون عنك يارب الا ماحفظوه من الفاظ لغوية وراح يعاتب الله فيقول :وأنا أسف ياربى أسفا شديدا ، ولا اعتراض لى عليك ولكنها مجرد ملاحظة : لماذا وأنا احبك هذا الحب لم تعطنى لمعرفتك غير وسيلة اللغة ولم توجهنى للدراسة .

وبرغم ان الاستاذ توفيق الحكيم وصم هؤلاء العلماء ـ من امثال اينشتين وكاستلر بأنهم غير مسلمين راح يلتمس لهم النجاة من النار برغم انهم لم يقولون لا اله الا الله وهذا امر عجيب لان الله قطع فى هذه المسألة فقال : ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين وهؤلاء قد ابتغوا غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين وهؤلاء قد ابتغوا غير الاسلام دينا وقد قال الاستاذ الحكيم بنفسه عنهم انهم(غير مسلمين) ليكون علمهم هذا ردا عليهم ومشقة تحملوها فى حياتهم الدنيا ثم يصلون نارا حامية يوم القيامة لقول الله تعالى (هل اتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الامن ضريع لايسمن ولايغنى من جوع) لانها عملت فى غير النطاق الذى رسمه الله سبحانه وتعالى

ان هؤلاء العلماء ماكان لهم الا ان يجدوا الله سبحانه وتعالى أمامهم فى نهاية ابحاثهم لانه الحقيقة الازلية الابدية السرمدية فاذا ما اصطدموا بهذه الحقيقة القاطعة انكروا ان الله ارسل رسلا او

انه انزل كتبا وان له ملائكة وان هناك يوما اخر ولابد من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر واذا ما انعدم الايمان فان الله قد كتب على نفسه الا يغفر ذلك الأمر فقال ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

ثم نبا بالاستاذ توفيق الحكيم قلمه فزعم ان الله يخشى هؤلاء بمعنى انه يجلهم ويعظمهم تأويلا لقول الله تعالى : انما يخشى الله من عباده العلماء بينما هم والارض جميعا معهم لاتساوى عند الله جناح بعوضة .

واخطر ماحوى هذا الحديث للاستاذ توفيق الحكيم انه ينسب الى الله جل علاه كلاما لم يقله عندما يستطرد قوله وفجاة حدث العجب حدث ماكاد يجعلنى يغشى على دهشة فقد سمعت ردا من الله ، او خيل الى ذلك وهل اذا درست الحساب بنجاح والتحقت بمدارس العلوم كنت ستراني .. ثم راح ينسب لله كلاما ما انزل الله به من سلطان ومضى يضع هذه الاقوال المختلفة امام لفظ الجلالة كما تعود ان يفعل كلما كتب حوارا .

ومن المعلوم للكافة بل انه مما هو معلوم من الدين بالضرورة ان الله قد اتم نعمته على عباده . واكمل لهم دينهم وقال لهم كل مايود ان يقول لهم فى كتابه العظيم القران الكريم وختم ذلك بقوله اليوم اكملت دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فكيف ينسب الى الله قولا ركيكا : وهل اذا درست الحساب بنجاح والتحقت بمدارس العلوم كنت ستراني ثم جمح به القلم فراح ينسب الى الله سبحانه وتعالى عكس ماسجله فى قرآنه عن سيدنا يوسف عليه السلام ذلك ان الله سبحانه وتعالى قد اكد ثبات سيدنا يوسف عليه السلام فى مقام الرواد معلنا انه قال انه ربى احسن مثواى ، انه لايفلح الظالمون . وهكذا فان نيته ـ مجرد النية ـ لم تتجه الى ارتكاب اى فعل محرم ولكنه افصح عن هذه النية بالاستعاذة برب العالمين سبحانه وتعالى فقال : معاذ الله ثم انه ـ اى سيدنا يوسف تذكر حق رب البيت عليه وذكر الزوجة بحق رب بيتها عليها عندما قال انه ـ اى صاحب البيت ربى احسن مثواى لأنه عندما اشترى يوسف وهو طفل صغير قال لامراته اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا فذكر امراة العزيز بهذه العبارة قائلا لها عنه : انه ربى احسن مثواى ، ثم اكد لها فى النهاية حكمة الدهر انه لايفلح الظالمون ومن هنا فان ارادة سيدنا يوسف لم تتجه الى

الامر المحرم وإنما افصح عن خوفه من الله واحترامه لحق صاحب البيت واستعصم ولكن امرأة العزيز فوجئت ـ بما لها من جمال ومال وسلطان ظنت ان مجرد عرض نفسها على هذا الشاب بماله من فتوة ذهنية وجسديه سوف يلبي رغبتها ـ ولكنها فوجئت برفضه هذا الاغراء الكبير فهمت به لتضربه جزاء على اذلاله لكبريائها وعلى إهانته لها تلك الاهانة البالغة وهم هو بها ليدفعها عن نفسه لولا أن رأى برهان ربه أى صاحب البيت نفسه الذى حضر الى البيت بجلبة وضوضاء دلت على قدومه فهم بها ليدفعها عن نفسه حتى يذهب الى الباب ويخرج منه ولكنها خفت فى أثره فى محاولة لمعاقبته على ماقدم عليه . وقدت قميصه من دبر فلماوصلا الى الباب الفيا سيدها لدى الباب مما قطع بان برهان ربه هو الدليل على قدوم صاحب البيت وليس المقصود هنا هو برهان من الله عز وجل .

وهكذا ينسب الاستاذ توفيق الحكيم الى الله جل وعلا عكس ما قاله فى كتابه الكريم .

من اجل ذلك نقول :

يا أستاذ توفيق

أعرض عن الاسترسال فى هذا الخيال المريض واستغفر لذنبك انك كنت من الخاطئين .

م١٠ النور ٩ مارس ١٩٨٣

فى الحديث مع الله ..
خلط بين الحقائق الدينية

ويعقب فضيلة الدكتور الحسينى هاشم امين عام مجمع البحوث الاسلامية على حديث الحكيم قائلا :

ان الامور التى تؤخذ على الاستاذ توفيق الحكيم ، وهو مما لاشك فيه انه أديب ... غير انه لا يتحرى الروايات الصحيحة ، فيأتى بالروايات الضعيفة ة التى لم ينطبق عليها شروط علماء الحديث الذين قالوا بأن الحديث ما اتصل سنده بالعدول الثقات الذين يتوافر فيهم الصلاح والحفظ ، ولايخالفون فى رواياتهم من هو أوثق منهم ، ويتصل سندهم هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولو درس الاستاذ الحكيم علوم الحديث ، ومقاييس المحدثين وضوابط بيانهم للحديث الصحيح من غيره .. لما وقع فى اختيار الروايات غير الصحيحة من الموضوعة والضعيفة .

ولدقة علماء الحديث جعلوا قوائم حصروا فيها المكذوبة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحصروا الكاذبين من الرواه حتى لايؤخذ عنهم .

وهناك كتب يعرفهاعلماء الحديث ، تروى الصحيح وكتب فيها الصحيح والضعيف ، ومن الكتب التى لاتروى الا الصحيح كتاب صحيح البخارى ـ صحيح مسلم وبعض كتب التفسير بها روايات اسرائيلية دخيلة على الاسلام .

ويبين على درجاتها من الضعف والقوة والكذب .. علماء التفسير والحديث .

فعلى هذه الروايات اعتمد الاستاذ الكبير توفيق الحكيم .. هذه الروايات منهجها تجريح الأنبياء عامة ، وذلك لاستمرار المعصية حتى لا يعافون عند ارتكابها.

من هذا القبيل الروايات التى قيلت فى شأن سيدنا يوسف مع امراة العزيز وفى هذا المنهج اشاعة للفوضى .

ويقول الحكيم : ان الاديان نسبية ، ويأتى برواية ان الارضين سبع .. حيث يقول مخاطبا الله .. « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » .

ويضيف : وجاء فى تفسير القرطبى نقلا عن الماوردى « على انها

سبع ارضين بعضها فوق بعض ، تختص دعوة اهل الاسلام بأهل الأرض العليا ، ولا تلزم من فى غيرها من الأرضين ، وان كان فيها من يعقل من خلق مميز .

وحول هذا المعنى يقول الأمين العام للبحوث الاسلامية بالأزهر الشريف : والاعتراض على قوله « وان كان فيها من يعقل من خلق مميز » فهذا لا يتفق مع رسالة الاسلام بصحيح القرآن الكريم « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

فرسول الاسلام .. خاتم الأنبياء .. مرسل للعالمين جميعا . وقوله تعالى : (وما ارسلنا الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) .. وقوله تعالى : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » .

فاذا وجد من هو مميز وعاقل ، فلماذا لايتساوى مع بقية المميزين العقلاء .. فى هدايته برسالة الاسلام .. فرسالة الاسلام عامة .. ولكن كما افترض الاستاذ الحكيم وراوياته هذه بالنسبة لقوله نقلا عن القرطبى « تختص بدعوة اهل الاسلام بأهل الارض العليا . ولاتلزم من فى غيرها من الارضين ، وان كان فيها مايعقل من خلق مميز » .

لم التركيز على نسبية الاديان
القرآن صالح لكل زمان ومكان

والاية التي ذكرها تكملها « .. ينزل الامر بينهن » والخطأ او الخطر من هذه المقدمة التي يقولها توفيق الحكيم : انه يريد ان يبنى على حديثه نظرية خطيرة اذ يقول « معنى ذلك ان الاديان نسبية تختص بها ارض دون ارض ثم يقول » وكأنك ياربى تلمح الى ماسوف يكتشفه العلماء بعد قرون فى شخص اينشتين » . كما اوحيت الى رسولك محمد فى قولك « انما يخشى الله من عباده العلماء »

وهذا الرأى يخالف صراحة ان الرسول صلى الله عليه وسلم: هو خاتم الانبياء .. ويخالف صراحة ما أجمع عليه المسلمون من أن القرآن صالح لكل زمان ومكان ، والقرآن الكريم حفظه الله ، وسيحفظه هاديا الى ان تبدل الارض غير الارض .

اما العلم فهو سلاح ذو حدين قد يهدى الله به الى العقيدة الحقة ، وقد لايوفق صاحبه اذا لم يكن يحمل قلبا طاهرا فى الوصول الى الحق ، ويظل فى ضلاله ، قال تعالى :

« ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره ، للاسلام ، ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء »

وكثير من الناس يضله الله على علم ... قال تعالى :

« افرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة . فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون » .

وفى واقعنا المعاصر « روسيا » دولة متقدمة فى العلم وبقدر تقدمها فى العلم بقدر ضلالها فى العقيده والحادها ، وانكارها لله وللاديان عامة .

وجاجارين رائد الفضاء الروسى عالم لاشك فلا ذلك ، ولكن لم يرد الله ان يهديه فقال : « بحثت عن الله فلم اجده »

ورحم الله الشاعر القائل :

والعلم ان لم تكتنفه شمائل

تعليه كان نهاية الاخفاق

فكيف تقول : وكأنك ياربى تلمح الى ماسوف يكتشفه العلماء بعد قرون فى شخص « اينشتين » كما اوحيت« الى رسولك محمد

صلى الله عليه وسلم »

ثم لماذا تركز على ان الاديان نسبية لتشكك الناس فى عموم الرسالة الاسلامية مكانا وزمانا ..مع ان اجماع المسلمين سيرا على قرآنهم وسنة نبيهم ان رسالته عامة . وانها الى اخر الزمان .

وماذا تريد ان يكشف العلماء فى الدين وانت قد قرأت الفلسفة وعلمت أن الفلاسفه من المؤمنين يقولون بان ماوراء الطبيعة اى ما وراء المادة الميتافيزيقية فهو غيب ، ولا دليل لنا فيه الا كلمة الوحى أى القرآن والسنة ، فهل سيكتشف العلماء ان الصلوات المفروضة اكثر من خمس مثلا ؟ او أن الصيام يكون فى غير رمضان ؟

والحكيم فى مقاله الثانى : لايفرق بين الأديان الثلاثة ويخلط بينها ويصف علماء الدين بانهم جامدون لانهم لايقرأون التوراه والانجيل .. ويقولون بان فيها تحريفا والقرآن هو الذى قال ذلك .. ثم يطالب الاديان الثلاثة بان نعترف بالانبياء جميعا ونحن كمسلمين نعترف بكتب السابقين ونتحقق من صحة ماورد فيها من حقائق قصها علينا القرآن الكريم ونؤمن بالرسل السابقين ، فقد اعلى شانهم القرآن ، ولكن هل اهل الأديان السابقة لمحمد صلى الله عليه وسلم يسلمون بانه خاتم للأنبياء والمرسلين .

ذلك واقعا .. انهم اذا اعتقدوا ذلك كانوا جميعا مسلمين ولا يمكن ان يكونوا ذلك واقعا .. فكيف يدعو اليه توفيق الحكيم

الخلاصــة

وخلاصةالقول كما يؤكد امين عام مجمع البحوث الاسلامية قائلا ..اعود فاقول ان هذه عجالة فى حديث صحفى أمليتها واؤكد ما قلتهفى بادى الامر وهو ان الاستاذ توفيق الحكيم .. أخطا فى منهجه معتمدا على الروايات غير الصحيحة .. والخلط بين الحقائق الدينية .

وكما ذكر هو فى مقاله الأول : انه كتب الجد والهزل والخيال والحقيقة .. ولعل هذا من الخيال والهزل « والله اعلم »

الولاء للاسلام والقرآن يربطنا

وقبل ان يجرى الحكيم حديثا مع الله .. يجب عليه أن يجرى حوارا او حديثا مع النفس الامارة بالسوء .. وعليه ان يتوقف عند هذا الحد حتى لانشوه الصورة الجميلة للاسلام ..

ومن واجبى كمسلم .. أن أضع أمامه النقط على الحروف ، ولنعلن له على الملأ : ان الاسلام هو المقصود بكل محاولات التشويه ، وان هناك خمس جبهات تحارب الاسلام لابد ان نضعها امام الحكيم ليتعرف عليها ، ونعرفها ، ونعرفها لأبنائنا .

الاولى : الفاتيكان .
الثانية : العالم البروتستانتى .
الثالثة : اليهود .
الرابعة : الشيوعية .
الخامسة : الوثنية .

وهذه الجبهات الخمس تحاول ضرب الاسلام وتحاربه بكل الوسائل والأسلحة المدمرة .. فما العمل اذا كان المسلمون فى هذا العالم هم الهدف

ان جميع علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم من سلفيين وصوفيه ، وكل الطوائف دافعوا عن الاسلام حتى بقى . فماذا فعلنا نحن ؟

فما بالنا ايها الحكيم .. بالاسلام وهو الذى يجب أن يكون له الولاء .. لابد من معاودة النظر فى القومية الاسلامية ، فالقرآن الكريم هو الذى يربطنا .

انظروا : كيف جعل اليهود من لغتهم الميتة لغة قومية وأحيوا بها أمة .

واذا كان اليهود هكذا .. فما بالنا ونحن اصحاب رسالة هى خاتمة لكل الاديان السماوية وخيرها .. أذن .. فلماذا لايكون ولاؤنا لديننا الحنيف .

وهنا نطرح تسآؤلا : هل مادرج عليه بعض كتاب اليوم من كتابات يبدو منها التدمير لديننا هو بهدف المزيد من الأوسمة العالمية وهل وصل الامر بأقلام بعض كتابنا الكبار المتاجرة بديننا الحنيف لهذا

الغرض ؟! .. وهل انتهى كاتبنا الحكيم من محاورات العالم أجمع ، ولم يبق له سوى الله كي يحاوره ؟ !! ومما يؤكد صدق هذه الكلمات وتلك التساؤلات العديدة . حدث العالم الجليل فضيلة الشيخ محمد الغزالي بقوله (١)

« بأن هذا العمل الذي ينهجه المسلمون اليوم خيانة عظمى وانه مشاركة لاعداء كثيرين يتربصون بنا .. وكل اضطراب في هذا العالم لاينقذه سوى الاسلام ، وربما وهم بعض الناس فظن ان هذا الدين يمهد للقاء غدا وهذا بعض الحقيقة .. أما الحقيقة كلها فهي غير ذلك

ان الاسلام وحده هو المقصود بكل محاولات التشويه فهي مؤامرة عالمية على امة كاملة وعلى حياة أجيال .. هذه مقدمة والمقدمة الثانية تتصل بالاعداء .. قال تعالى : (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين) « ٥٥ ـ الأنعام » .

كان هذا هو الهدف قديما عرفناه من دراسة الملل والنحل او دراسة علم الأديان . لنعرف مكامن الخطر ومن اين تاتينا ، وأصبحت هذه الدراسة فرضا لدرء الخطر عن امتنا .. كيف نتقي الاخطار

هناك خمس جبهات تحارب الأسلام لابد ان نعرفها ويعرفها أبناؤنا .

الجبهة الأولى :

الفاتيكان ـ دولة تمثل الخلافة المسيحية الصليبية وتعمل ليل نهار على الكيد للاسلام .

الجبهة الثانية :

جبهة العالم البروتستانتي وهذه الجبهة من وراء مجيء اليهود الى فلسطين والبروتستانت لهم صلة وثيقة بالعهد القديم وهم الكثرة الكاثرة في انجلترا وامريكا ، والحرب الدائرة بين الكاثوليك والبروتستانت مذهبية ولكن البروتستانت هم الذين يؤيدون اليهود في استيطان فلسطين .. وهي جبهة

خطيرة لانها تكون المبشرين الذين يشغلون كل النوعيات فى المشروعات العالمية ، وعن طريق هذا يقدمون الخدمة للمسيحية فهم يخدمون اغراضهم عن طريق الهندسة والطب والصيدلة وكل فروع العلم الذين برعوا فيها كي يحققوا اهدافهم ضد الاسلام .

الجبهة الثالثة :

جبهة اليهود .. وعدد اليهود فى العالم ستة عشر مليونا ولكن هؤلاء لهم قدرات علمية وفنية ودعائية يجب ان نعرف اخطارها ، ونعرف اخطائنا .. فهم يجاهرون بتدينهم ونحن نتوارى باسلامنا !

لقد اوعزوا لرمى الخلافة فى البحر حتى يهون كل شىء بعد ذلك .. ، والخلافة فى المسيحية لها وزنها .. أمريكا الجنوبية فيها عشرون دولة تتبع الكاثوليكية فى العالم تملك من القوة لخدمة التبشير مثلماتملكه روسيا وامريكا وهى جبهة خطيرة وتعمل فى صمت .. واعطيت جائزة نوبل باقتراح من كندى لامرأة لها نشاط كاثوليكى ،فالكثلكة تعمل فى صمت حتى يتقلص الاسلام فى افريقيا اقل من عشرين فى المائة والوحوش هناك يتشفون من أعماق قلوبهم .. (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ..) « ٨٢ ـ المائدة .

فما العمل اذا كان المسلمون فى هذا العالم هم الهدف .. ان جميع علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم من سلفيين وصوفية وكل الطوائف دافعوا عن الاسلام حتى بقى فماذا فعلنا نحن !

محمد الفاتح هو الذى دخل القسطنطينية التى لم يدخلها الصحابة وكان صواما قواما أن المسلمين الان امة مهزومة .. ثمانون جنسية وفى كل بلد رصدت لهم جراثيم حتى يلهوا هذه الامة عن دينها .. وهم يتكلمون عن دياناتهم ويجاهر اليهود بحدودهم النورانية اى التى رسمها الوحى .

الجبهة الرابعة :

الشيوعية وهى الجبهة التى ورثت الجبة القيصرية ، والعرب فى غفلة وكانهم يبلعون حشيشا او بنجا ، وذهبت نصف مساحة روسيا وثلاثة أرباع خيراتها من عالمنا الاسلامى . ولو ان رجلا مثل قطز اومثل صلاح الدين من هذه البلاد التى أتت بالعلماء فى اللغة والسنة لتغير وجه هذه الامة ولأصبح لنا شان الأحياء الذين يعرفون الحق فيتبعوه لا الذين يعرفون الحق فيضيعوه .

الجبهة الخامسة :

الجبهة الوثنية ـ جبهة عباد الصنم ولهم قتلى فى كل سنة فى الهند ، وقتل ايام التقسيم مليون مسلم والمسلمون لايحركهم شيء ، اين انتم من اخوانكم الذين قتلوا؟ والاصلاح يحتاج لعدة أمور .

ويمكن ان يقع لهم ماوقع للتتار من دخول فى دينهم ويستعيدون مافقد من أمجاد ، ويجب ان يراجع المسلمون فى كل بلد قوميتهم ، ويجب اعادة النظر فى هذه القوميات ويجب ان يتصدر الشعور الاسلامى كل شعور آخر .. لابد أن تعود الجامعة الاسلامية مرة اخرى .. الذى أحرق المسجد الاقصى فى المرة الاولى من استراليا والذى أطلق النار فى المرة الثانية من أمريكا بولائهم لدينهم ضد الاسلام ! !

فما بالنا بالاسلام وهو الذى يجب ان يكون له الولاء ..

ولكن الشعور بارد ازاء ماينزل بنا من كوارث ، ومن ظن ان أطماع الاسرائيليين بابتلاع يهودا والسمرا فقط واهم ..

لابد من معاودة النظر فى القومية .. والقرآن هو الذى يربطنا والغريب ان الثقافة الاسلامية عربية وهى عدوة للانجليز وغيرهم .. وكيف جعل اليهود من لغة ميتة لغة قومية احيوا بها أمة ـ لابد من

التعصب للغة العربية

أريد أن أسأل .. ما هي مسافة التخلف بيننا وبين العالم .. ؟

- نريد ان يكون للاسلام جندى فى كل ميدان يخدمه ! !

الراية - ٧ مارس ٨٣

الشعراوى: الحديث مع الله
قضية تحمل الضلال والاضلال

وهذه دعوة اسلامية غيورة على الدين الاسلامى .. من عالم جليل ومفكر اسلامى كبير فضيلة الشيخ/ محمد متولى الشعراوى .. حول ما كتبه ـ ويكتبه توفيق الحكيم فى حديث مع الله .. ثم الى الله .. طرحها للمناقشة والمواجهة الصريحة حول هذه القضية .. التى يتحدث عنها منذ البداية بقوله : ان ما يكتبه توفيق الحكيم .. ضلال واضلال .

ويقول الشيخ الشعراوى .. لقد شاء الله سبحانه وتعالى : الا يفارق الكاتب الدنيا الا بعد أن يكشف للناس ما يخفيه من أفكار وعقائد ، كان يتحدث بها همسا ، ولا يجرؤ على نشرها .

ولقد شاء الله الا تنتهى حياته الا بعد أن يضيع كل خير عمله فى الدنيا حتى يلقى الله سبحانه وتعالى . بلا رصيد أيمانى ، وقد طالب الشيخ الشعراوى فى حينه بالتصدى ومواجهة الحكيم على ما كتبه .. أو ما يكتبه ،وذك بعقد ندوات فى التليفزيون لمناقشة الذين ينشرون أفكارا خاطئة عن هذا الدين على أن ينقلها التليفزيون المصرى ويحضرها الناس ، كما يحضرها كل من توفيق الحكيم ويوسف ادريس وزكى نجيب محمود .» ويحضرها الشيخ بنفسه حيث المناقشة والمواجهة وكما يقول : « لأكشف هؤلاء الناس للمسلمين فى العالم أجمع ، وأرد عليهم ، ونترك الحكم لمجموع المسلمين كما اكشف وسائل الاعلام التى تقوم بنشر هذا الكلام لهم ..

واننى أتحدى أن تعقد مثل هذه الندوة ، وعلى استعداد لها فى هذه اللحظة .

وقال الشيخ :

اذا كان هناك ما يسمونه فكر لهم .. فكل كلامهم خارج هذا الدين ، وكله مردود عليه .

واننى أريد النقاش علنا ليعرف كل انسان قدره ، ولا يصبح دين الله نهبا مباحا لكل من يريد أن يتعدى على مقدماته مقدساته ويشوهه أمام الناس .

وانتهى فى تعليقه قائلا : ان ما يقوم به هؤلاء الثلاثة لا يمت الى الحق بصلة ، ولا الى الفكر الاسلامى الصحيح .
وأن ما يكتبونه هو قضية تحمل الضلال والاضلال ، واذا كان لديهم ذرة حق ، فليأتوا ولنناقش أمام الناس جميعا وانى فى انتظارهم. »

● ● ●

الخشية من الله
والتفسير الصحيح لها

وتفسير الحكيم للآية الكريمة (انما يخشى الله من عباده العلماء) مستندا على أن الخشية كما فسرها بعض المفسرين ترمز الى التقدير والاجلال ، وفى قراءة فيمن قرأ (انما يخشى الله) بالرفع أى أن الله يخشى العلماء مستندا فى هذه القراءة على قول الامام أبو حنيفة رضى الله عنه ـ وانتهى به فهمه فى تفسير هذه الآية الكريمة استنتاجا واستدلالا الى أن فى هذه القراءة استعارة ، والمعنى أن الله ، انما يجـلهم ويعظمهم .. الى آخر ما انتهى اليه من رأى فى هذه الآية الكريمة ..

وهذا التفسير فى حاجة الى تصحيح لفك طلاسم التفسير والفهم المغلوط الذى وصل اليه أستاذنا الحكيم فى فهم معانى هذه الآية الكريمة طبقا لما أستند عليه من تفسير لبعض المفسرين الأجلاء ..

وهذا أمر يقودنا فى حد ذاته الى التساؤل : عـــما هو التفسير الصحيح لقوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) ..
والتفسيرالصحيح لهذه الآيـــــة الكريمة فى رأى الدكتور محمد عماره الذى يقول : ان السياق القرآنى يزكى معنى واحدا .. هو أن أشد الناس خشية لله هم العلماء ـ ويقدم لنا الأدلة على ذلك فى نقاط ثلاث أولها : يقول الله سبحانه وتعالى (الم تر أن الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانهاومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك . انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور » (١) ـ فتعداد آثار قدرة الله واعجاز صنعته تمهيد يقول : انه المستحق للخشية ، وخاصة من العلماء الذين يعرفون أسرار صنعته ودلالة اقتداره
وثانيها : ان ختام الآية « ان الله عزيز غفور » ـ يصف المولى سبحانه بالصفات المستوجبة خشيته من قبل العلماء ، فهو العزيز وله القدرة على الغفران .
وثالثها : ان القرآن الكريم ، وان وصف بشرا بصفات قد وصف بها الله نفسه ـ مع اختلاف فى الدرجة والنوعية ـ مثل الرحمة ، والعفو .. فى قوله تعالى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم» (٢) « وان تعفو أقرب للتقوى» الا أن

مصطلح الخشية والذى وردت فى مادته فى القرآن ثمان واربعين مرة لم ينسب مرة واحدة الى الله سبحانه بل كانت الخشية دائما من العباد ، وهذا قرآن يقول (انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب) (٤) « فلما كتب عليهم القتا ل اذا غ فريق منهم يخشون الناس كخشية الله » (٥) (الا الذين ظلموا فلا تخشوهم واخشون » (٦) ـ فالذين يخشون هم العباد ، والمستحق للخشية هو الله وحده ، وحتى الآيات التى طلبت منا أن نطيع الرسول مع الله ، قد اختصت الله بالخشية دون الرسول فى قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه ، فأولئك هم الفائزون (٧) فمصطلح الخشية ليس مما يشترك فيه الله مع الناس ، حتى يجوز القول ان الله هو الذى يخشى العلماء

وفى النهاية : فان هذه الفكرة الخطرة والمغلوطة لا تزيد عن كونها رواية انفرد بها الزمخشرى ، ومع تقديرنا لعلمه وعبقريته ، فمن الواجب عرض الرواية . على الدراية ، والاحتكام لمنطق القرآن وسياق الآية ودلالة المصطلح فى عموم القرآن الكريم ـ خصوصا ، وأن راويها ـ الزمخشرى ـ لم يعلن تاييده لها ، فهذا هو التفسير الصحيح للآية (انما يخشى الله من عباده العلماء .. وفقنا الله الى ادراك معانى الأيات

(١) الآية ٢٧ ـ ٢٨ سورة فاطر
(٢) الآية ٢٩ سورة الفتح
(٣) الآية ٢٣٧ سورة البقرة
(٤) الآية ١١ سورة يس
(٥) الآية ٧٧ سورة النساء
(٦) الآية ١٥٠ سورة البقرة
(٧) الآية ٥٢ سورة النور

علماء الأزهر والحكيم
فى الحديث مع الله ثم الى الله

وهذا حوار ساخن بين علماء الدين بالأزهر وتوفيق الحكيم حول ما أثاره حديثه « مع الله » من غموض وتساؤلات هامة فى الأوساط الدينية وغيرها .. فماذا قالوا ؟ وماذا كانت حجة الحكيم فى التبرير لهذا الحديث ؟ .

ومنذ البداية .. يقول الحكيم : كنت أناجى الله فى غرفة مغلقة ، ولم أكتب هذه المقالات للنشر والعلماء يقولون له : أنت كتبتها للنشر بدليل أنك قلت : انك ستغضب المتزمتين .. والحكيم يقول : عندى يافطة « يارب » المعلقة فى حجرتى ، وظروفى الخاصة أوحت الى بما كتبت حديثا مع الله ،والعلماء يقولون : لا يجوز لمسلم أن يتخيل حديثا مع الله ، فهذا اجتراء على مقام الله ، ..

أما الخطوط العريضة والعميقة التى طرحها فضيلة الشيخ الشعراوى فى هذا الحوار والتى يقول فيها : ان الانسان كلما تقدم به العمر ضعف جسمه وقوى ايمانه ، ولكن هنا تجتمع شيخوخة العمر وطفولة العقيدة . ولا أعترض على حديث توفيق الحكيم مع الله أو الى الله ، ولكن الاعتراض على حديث من الله لتوفيق الحكيم ، وهذه أول مرة أسمع فيها أن الله كلم بشرا بلا وحى

ويضيف قائلا : لقد قيد الحكيم ارادة الله بارادته ، وكلام الله بكلامه وهو بشر ،فى حين أن الثابت فى الدين الاسلامى أن كلام الله طلاقة كل كمال .. فهل يخضع كمال الله لعقل بشر محدود ! ! .. كما أن الحكيم قد سمح لنفسه بما لم يسمح به الله لرسوله .. ومن الغريب المفرط أن الحكيم قد أعلن صراحة فى حديثه أنه ليس صالحا للكتابة لبشر .. ثم كتب كلاما من الله للبشر .. ويتساءل الشعراوى : هو يقول : « تخيلت » .. فهل خيال البشر يدخل فيه كلام الله ؟ ونحن نعلم يقينا أن الكمال المطلق لله وحده لا ينازعه فيه أحد

وتلك هى الخطوط العريضة التى طرحها العلماء فى ندوة الحديث مع الله لتوفيق الحكيم .. اكتفيت بسردها فى كتابى هذا .. لضيق الوقت وكثرة التكاليف الباهظة للطبع ، .. فمن رغب فى التوسيع باستفاضة لهذا الحوار فعليه بما نشر فى اللواء الاسلامى

حول التعادلية والاسلام

وفلسفة الحكيم فى كتابه التعادلية والاسلام عقائدية يهدف من خلالها اثبات وجود الأشياء : عن طريق نظريات الفلسفة المادية والاعتماد على المنهج العلمى العقلانى فى العلم الحديث .. الذى يبحث عن اثبات الاشياء الخارقة ، أو ما يسمونه ما وراء الطبيعة فى الوجود والكون فى اطار نظرية الاثبات والعدم .. ولم تكن للحكيم فلسفة جديدة فى كتابه التعادلية ، وانما هى فلسفة تقليدية نابعة من فلسفات غربية لفلاسفة وكتاب أجانب اقتبس منهم الحكيم الكثير والكثير .

والتعادلية مصدر صناعى كالحرية بمعنى أن يكون شيئان متعادلين ، بمعنى متقابلين بالضدية والاختلاف . وفى رأى توفيق الحكيم أنه لا بد لكل شىء من غير وضد مقابل ، والتعادلية على ذلك هى سنة الله فى خلقه ، وهى نظام حياة وأسلوب تعايش وانسجام وانتظام لدقة الأمور ..

ومن الملاحظ أنها معان وظاهرة قديمة فى الفكر الانسانى . وليس فيها من جديد اضافة غير اطلاقه هذه التسمية على تلك الظاهرة .. ذلك أن فلاسفة اليونان تحدثوا عنها بقولهم : ان الحياة مجموعة متضادات ومتقابلات حق وباطل ، صدق وكذب ، خير وشر ، ليل ونهار ، تنافر وتجاذب ، اتصال وانفصال ، ومحبة وعداوة ، وأن الفضيلة عندهم وسط بين رذيلتين . وأقام فلاسفة اليونان نظرية الكون والفساد على هذا الأساس .. وللشاعر العربى قوله حكيمة فى ذلك عبر عنها بقوله [ولا تغل فى شىء من الأمر .. واقتصد] كلا طرفى قصد الامور ذميم .

والتعادلية فى راى الدكتور محمد عبدالمنعم الذى يقول : إن هذا الكتاب خطير حقا . لم يصدر مثله فى فكرنا المعاصر وهو حدث كبير جدا فى حياتنا الفكرية والروحية المعاصرة انه يضع الدعامة لأسس فلسفة اسلامية جديد .. تنبع من مصر بلد الأزهر ، وموئل الاسلام .

وهو جدير بأن يجعلنا نلقب الحكيم بالفيلسوف بعد ان كنا نلقبه بالاديب ... وارى ان يدرس هذا الكتاب فى جامعاتنا المصرية ، وفى جامعة الازهر الشريف ، وفى القسلم الفلسفة الاسلامية بصفة خاصة .. وانه لشرف كبير لمصر ان يضع مفكر من

ابنائها ، فى عام الاحتفال بالعيد الالفى للازهر الشريف ، اسس فلسفة اسلامية تتلاقى مع الفكر الاسلامى والفكر الانسانى فى بدايات القرن الخامس عشر الهجرى ، او نهاية القرن العشرين .
واقترح على الازهر الشريف وجامعته الكبرى ان يدعيا روجيه جارودى فى الاحتفال الالفى للازهر ، ويمنح هو وفيلسوفنا توفيق الحكيم العالمية الفخرية .
ان فيلسوف التعادلية قد ربطها بالاسلام وجعل الاسلام القوة الكبرى المحركة للحياة والانسانية والحضارة . وربط بين الفكر والدين والقلب والعقل ...
فدعا الى التعادل بينهما لكفالة سلامة الشخصية الانسانية ، لنؤمن بالقلب وحده فتلك قوته .. ولنفكر بالعقل فى مجاله وحده فتلك ايضا قوته .
وفلسفة الحكيم تقوم على الايمان المطلق ... ففكرة تاليه الانسان لنفسه على هذه الارض هى عند الحكيم من الاسباب التى ادت الى ازمات وكوارث العالم المعاصر وصدق الحكيم فيما قال .. فمن ذا الذى يشك فى ان إعطاء كل شىء فى عالمنا للانسان وحده هو سبب ازمة الانسان المعاصر والحضارة المعاصرة .. ان كفر الانسان بكل شىء الا نفسه هو الذى قادنا اليوم لمصير مخيف مزعج .... ازمة الانسان المعاصر عنده نتيجة الاختلال فى تركيبه التعادلى .
والتعادلية كما يرى الحكيم تطلق الفكر على قوتى العقل والقلب .. اى المنطق والايمان ، باعتبارهما نبعين للمعرفة فى الانسان وسلطان الفكر يجب ان ينهض معادلا لسلطان العمل .
وكما نقول فى السياسة الدولية انه لابد من التعادل بين القوى الكبرى يقول الحكيم ايضا انه لابد فى السياسة الداخلية من التعادل بين الحاكم والمحكوم وفى الاقتصاد تعادل بين العرض والطلب .. وفى الميزان التجارى تعادل بين الصادرات والواردات ، كذلك لابد فى المجتمع من التعادل بين قوة العمل وقوة الفكر . ولابد فى الادب من التعادل بين قوة التعبير وقوة التفسير .

التعادلية ومسرحيات الحكيم

وعندما اصدر توفيق الحكيم كتابه التعادلية عام ١٩٥٥ لم يكن صدوره بداية لتفكيره فى فلسفة التعادلية بل ان الحكيم كان يفكر منذ زمن طويل فى فلسفته التعادلية فنجد ان التعادل واختلاله بين العقل والقلب فى اطار مشكلة الزمن هو موضوع مسرحيته

الخالدة« اهل الكهف » .

ونجد التعادل واختلاله بين الفكر المطلق ممثلا في« شهريار » والايمان العاطفي ممثلا في« قمر » متحركا في اطار مشكلة المكان ودورته ، هو موضوع مسرحيته الذائعة« شهر زاد » .

والتعادل بين القدرة« او القوة » والحكمة وثباته واختلاله هو موضوع مسرحيته« سليمان الحكيم » .

وعندما كتب الحكيم مسرحياته الذهنيه جعلها تكشف عن عجز الانسان تجاه مصيره،ومسرح الحكيم يقوم على اشخاص تتحدد مراكزهم ، لا بالنسبة الى الخير والشر ، بل بالنسبة الى الحقيقة والواقع .

التعادل يجب ان يكوم قائما بين الخير والشر والعقل والايمان ، والدين ، والدنيا ، والافراط والتفريط في الحق والباطل كما هو قائم بين النور والظلام ، والعسر واليسر والنصر والهزيمة .

فالتعادلية عند فيلسوفها تفسير الحياة الايجابية بانها ضرورة وجود جملة قوى تتقابل وتتوازن ، يناهض بعضها بعضا في الكون والحياة والمجتمع ، فالفكر معادل للعمل والخير معادل للشر ، والعقل معادل للقلب ، وقوة التعبير في الادب والفن تعادل قوة التفسير .

الوجود عنده هو التعادل مع الغير فلابد من غيرك لتكون انت ، فالتعادلية تقوم على الغيرية . الواحد الصحيح في فلسفة التعادلية يساوى صفرا والحياة الايجابية تبدأ من الاثنين ، وذلك يقول الحكيم : بغير الغير لايوجد وجود .

والتعادلية في جوهرها عند الحكيم نابعة من جوهر الاسلام العظيم ، والخروج على الاسلام يتبعه بالضرورة الخروج على جوهر التعادلية وعناصرها المميزة، من العدل والاعتدال والتعادل فالانسان في الاسلام عليه ان يعيش عالمين: عالم الدنيا وعالم الاخرة .. والتعادلية الاسلامية كما يفسرها الحكيم تقوم على تعادلية الكون وبشرية الاسلام ، وحرية البشر ، وصلاحيته لكل زمان ومكان وحفظ الله عز وجل لوجود ما اوجد .

القران الكريم كما يقول الحكيم .. صالح بالفعل خلال هذا العصر لهذا الزمن ولكن العاجز هو التفسير الموائم للزمن الجديد .

ان الحكيم يقف امام الله عز وجل يناجيه من اعماق نفسه مرددا :« يامن بيده نفسى ، اللهم اجعل عقلى يفهم حكمتك ، واجعل

قلبى يصل الى نورك » .
ان تألق الفكر الاسلامي عند توفيق الحكيم وفى ادبه لمما يجعلنا نوقن بعظمة هذا الانسان المصرى الذى يعيش فى النضال حتى وهو يتخطى حدود الثمانين .

جوهر الاسلام عند الحكيم يبدو فيما يبدو وفى احترام ما خلقه الله تعالى ، لأن الله تعالى اجل من ان يلغي شيئا من خلقه ، واجل من أن يلغى الطبيعة التى خلقها ورسالة الا سلام تنظيم هذه الطبيعة لا الغاؤها والتغيير عنده هو التنظيم الى الافضل وهذا التنظيم يقوم على منع الطغيان فلا يطغى شىء على شىء وكل شىء خلقه الله تعالى موجود ويجب ان يبقى دون ان يطغى عنصر منه على عنصر آخر .
راس المال مثلا موجود فى الاسلام على شرط ان لايطغى صاحب مال على فقير او محروم .
وبعد فهذا الكتاب الجديد المضىء لفيلسوف التعادلية توفيق الحكيم . وهو التعادلية مع الاسلام والتعادلية، شىء مثير حقا .. انه من بين اعظم ما صدر فى الفكر المصرى فى القرن العشرين . انه يمثل جوهر حياة اسلامية مصرية الطابع والشخصية .. انه يدعو الى الاسلام ومنابعه العظيمة لتبقى فى جوهرها محور البناء والتقدم والعمل من اجل النهضة والازدهار والسلام والرخاء ...

الاسلام ليس ضد العلم الحديث والتطور

ومع الحوار حول قضية الدين والعلم .. حيث طرح توفيق الحكيم تساؤلا : المستمر العالم الذى تمنعه ظروفه من تغيير دينه .. الا يكون حسابه مخيفا عند الله ؟

ولكن العلماء المحاورين للحكيم فى حديثه مع الله .. قالوا بالاجماع : لا يكون العالم ناجيا من النار الا إذا نطق بالشهادتين ، وعمل بكل ما جاء به الاسلام .. كما تساءل الحكيم مرة اخرى : لماذا لم يترجم القرآن ويوزع بالمجان فى جميع انحاء العالم ؟ ... فاجاب علماء الازهر على هذا التساؤل وقالوا : إن القرآن الكريم ترجمت معانيه إلى عدة لغات ومقارنة الأدباء تدرس فى جامعات اوروبا ..

اما اهم النقاط التى تحدث عنها الشيخ الشعراوى فى رده على الحكيم بقوله : إنه لا يمكن لأحد ان يدعى ـ الازورا وبهتانا ـ ان الاسلام ضد العلم والتطور ، ولكن لا يمكن لأحد ايضا . ان يدعى ان الله سبحانه وتعالى : انتظر العلم الحديث ليثبت العلماء وجود الله ، وانه الخالق .. تلك حقيقة هامة يجب ان نتنبه إليها قبل ان نقرا هذا الرد .

والاسلام يحث على العلم ، وعلى كشف آيات الله فى الارض ، ولكنه لا يمكن ان يقر حاجة الله سبحانه وتعالى الى علم ارضى .. وكل من يقول : إن وجود الله سبحانه محتاج إلى علم الدنيا لنؤمن به ، فإنه بعيد عن جوهر الايمان .. كما اشار الشيخ الشعراوى إلى نقاط اخرى حول قضية الدين والعلم منها : إن آيات الله التى تلفتنا لقدرته ظاهرة لكل خلق الله ، وليست محتاجة إلى دليل ، كما ان العلم لا ينشىء الايمان ولكن يؤكد الايمان

وتاكيدا لهذه المعانى وتلك الردود نضع راى الشيخ الشعراوى فى إيجاز شديد حول أهم النقاط التى تناولها الحوار حول هذه القضية .. فالحديث طويل ، ولكن القليل الموجز يفى بل التركيز احيانا على لب الموضوع ياتى بالكثير من الفائدة للقراء .. كما يقولون .« كلمة مفيدة خير من كلام لا يفيد»

وفى هدوء العالم الوقور والمؤمن الواثق بالله قال الشيخ :« قبل ان نبدا الحوار فى قضية الدين والعلم .. التى اخذت حديثا طويلا خلال هذه الأيام ، وقبل ان ارد على ما قاله الاستاذ توفيق الحكيم .. من ان علماء المادة الذين لم يشهدوا بان لا إله الا الله سيدخلون

الجنة لأنهم قالوا ذلك ممارسة ... احب ان ابين ان هناك تناقضات كثيرة وردت فيما كتبه الحكيم فى حديثه مع الله .

وفى اول اعتراض للشيخ الشعراوى على قول الاستاذ توفيق الحكيم ان العالم« انيشتين» قد تحدث بوجود الله عن طريق البحث العلمي ونحن حقا مدينون لانيشتين وامثاله بانهم عرفونا بان الله موجود ولولا هؤلاء العلماء وغيرهم من الملحدين ما كنا قد عرفنا ان هناك الها وربا ودينا وان هؤلاء فى رأى الاستاذ الحكيم قد جاءوا لنا بمالم تأت به الرسل والانبياء واعتراض الشيخ الشعراوى على هذا الكلام انه يمس صفة العدل المطلق فى الله تعالى ومعنى قوله ان الله تعالى لم يعط خلقه فرصة متساوية فى العلم فحرم البعض الدليل على وجوده واعطى البعض فرصة فكان فى زمانهم نشاط علمي فعرفهم وجوده وكان الله تعالى قد فرق بين البشر وهذا يمس عدل الله سبحانه وتعالى . ولذلك فنحن نرفضه لان الله تعالى اعطى لخلقه فرصا ايمانية متساوية عن طريق الرسل وليس عن طريق العلم فهو سبحانه وتعالى عدل مطلق لا يحرم خلقه الاول من الايمان ثم يعطيه لاخرين من خلقه كما ان الخط الايمانى لايزداد بالعلم عند كثير من الناس ولكنه ينقص

اذن ما دام عدل الله سبحانه وتعالى يعطى للناس فرصة واحدة ويطلب منهم ايمانا واحدا لابد ان تكون الادلة على قدرة الله تعالى مشتركة بين جميع الخلق بحيث لا يكون المرتبط بالفطرة اقل ايمانا من المرتبط بالعلم ومن هنا كانت آيات الله فى الكون التى نعرفها بارزة لكل خلقه منذ بدء الخليقة فلا يستطيع احد ان يقول ان العلم جاء بالشمس او غيرها او وضع قوانين الكون او خلق اى شىء فهذه الايات موجودة منذ بدء الخليقة وستظل الى نهاية خلقه ومن يستهتر بوجود الله واياته فأولئك هم الملحدون ويأتى العلم عاجزا امام هذه الايات وما تقدم العلم كله الا تهيئه لظروف الحياة بالنسبة للقوانين التى وضعها الله بحساب دقيق لا يختل ثانية واحدة عبر ملايين السنين .

وقال الشيخ الشعراوى : سبحانك ربى هل نحن محتاجون لعالم كانيشتين ليكشف وجودك واياتك يراها خلقك جميعا فى كل وقت لم نحن محتاجون لعالم يقول ان هناك قوانين ظاهرة واخرى خفية فى الكون وقد ذكرت ذلك فى قرانك الكريم وقلت« ويعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا»

وقال الشيخ الشعراوى . افترض فرضا ان هؤلاء العلماء الذين ذكرهم الاستاذ توفيق الحكيم قد وصلوا إلى انه لابد ان يكون هناك خالق عظيم لهذا الكون الم يكن من الاجدر بهم ان يتبعوه واذا كان هذا الخالق فوق قدرة العقل البشرى كما اعترفوا الم يكن من الاجدر بهم ان يبحثوا فى رسالاته وان يطبقوا ويدرسوا ما جاء به انبياؤه وان يدرسوا رسالة سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين وان يعرفوا كيف يشكرون هذا الخالق العظيم الذى ادركوا عظمته بان يعبدوه ويسلموا له ويسالوا عن منهج عبادته ام انهم اكتفوا بذلك وكانهم وصلوا إلى قمة العلم ولم يعد هناك مزيد ... لو كانوا علماء حقا لاستزادوا فهل بحثوا فى هذا . ؟ ولكن الاستاذ توفيق الحكيم يريد ان يدخل هؤلاء العلماء الجنة وبلا حساب وكانما غفر لهم ما تقدم من ذنبهم وما تاخر بدعوى انهم اضافوا الى الانسانية اشياء جليلة ان هؤلاء العلماء فى إكتشافاتهم كانوا يعملون من اجل اهداف دنيوية وهؤلاء لم يؤمنوا بالله ولم يقولوا لاإله الا الله فكيف ندعي انهم عملوا من اجل الله وانهم حسب العدل والمنطق ياخذون أجرهم ممن عملوا من اجلهم فاذا كانوا قد عملوا من اجل بلادهم فالعدل ان تاتيهم اجورهم من دولهم وتخلدهم بلادهم وقد أعطاهم الله اجرهم وجزاؤهم فى الدنيا بقانون الاسباب فخلدتهم الدنيا ولكنهم لم يعملوا من اجل الله تعالى وهنا يتجلى عدل الله سبحانه وتعالى من عمل من اجله تعالى فجزاؤه من الله ومن عمل من اجل سبب دنيوى فجزاؤه فى الدنيا

وقال الاستاذالحكيم ان بعض هؤلاء العلماء الذى يريد ان يدخلهم الجنة لا يعرفون شيئا عن الاسلام ولم يسمعوا عنه .

ويرد الشيخ الشعراوى فيقول ان هذا غير صحيح على الاطلاق فعلماء الغرب درسوا الاسلام كما لم ندرسه وانما درسوه ليطعنوا فيه ويشوهوه وينالوا من دين الله واذا كان الاستاذ الحكيم يجهل هذه الحقيقة فانى مستعد لان ارسل إليهم بالعديد من الكتب التى الفها المستشرقون وتطعن فى الاسلام ..

والنقطة التي اثارها الاستاذ توفيق الحكيم حينما قال انه اتضح له عند اتباعه لتعاليم الله كعدم الاسراف في الطعام وعدم شرب الخمر فتحسنت صحته وقال الشيخ الشعراوى نحن نسأله هل اتبعها اولا ام ذهب ليبحث عنها علميا اولا . الواضح من كلامه انه اتبعها اولا ثم بعد ان اتبعها عرف الفائدة . وبهذا علم ان ما امر به الله هو الخير للانسان والايمان ان نتبع ما انزله الله .

رد على الاستاذ يوسف ادريس

كانت مغالطة علنية من الكاتب يوسف ادريس ان قصر دور الشيخ الشعراوى فى المجتمع على تفسير القرآن الكريم ، وشرح عطاء الاسلام للبشرية دون الدخول فى المعترك السياسى العام ..

وانه لقصر فى رؤية الكاتب الذى لا يرغب ان يعترف بأن الاسلام منهج كامل للحياة فى العقيدة والسلوك فى العبادات والمعاملات ، وفى علاقة الانسان بالله ، وعلاقاته مع مجتمعه ثم فى علاقة مجتمعه بين افراده بعضهم مع البعض ، وعلاقاتهم مع غيرهم من الدول والحكومات .

وراح الكاتب فى جريدة الشعب .. ينكر على فضيلة الشيخ الشعراوى .. انه لا يعمل بالسياسة .. لأنه لم يعلن عن رايه فى الحرب بين العراق وايران ، ولا التى دارت على أرض لبنان ، وانه لم يقد المظاهرات الاسلامية لقتال المعتدين مثل الفقيه (ابن تيمية) .

وتلك مغالطة من الكاتب يوسف ادريس وكلمات اريد بها باطل . لأنه لم يذكر فى حديثه ذلك الحشد الهائل الذى يتقدمه الشيخ الشعراوى للقتال ضد السوفييت فى افغانستان واحتلالهم لأرضها .

فهل نسى اوتناسى الكاتب يوسف ادريس أن كل عبارة او كلمة يقولها الشيخ الشعراوى انما هى من السياسة بمفاهيمها ومعانيها الواسعة غير المحدودة ، التى تعتمد على تربية الشعب بالعقيدة قبل تربيته بالمظاهرات والشعارات .

ومع ذلك فان مواقف الشيخ كثيرة .. فهو الذى سعت اليه الوزارة ، ولم يسع اليها هو .. لأنه قبلها كان قد ملأ الزمان والمكان بعطاء الله .

وهو الذى دعا من فوق منبر الازهر الشريف وهو وزير الاوقاف ـ الى تطبيق الشريعة الاسلامية .. حينما كان السادات فى الصف للصلاة ويسمع ما يقول . . وهو الذى نادى بذلك من فوق جبل عرفات

وطالب الشعوب الاسلامية بالتمسك بتطبيق شريعة الله فى بلادهم .. ، وهو الذى رفض قرارين جمهوريين بتعيينه عضوا فى جامعة الشعوب الاسلامية والعربية ، وقبل ان يكون عضوا فى مجلس الشورى ـ لايمانه ان العمل الطليق من قيود السلطة اجدى بكثير فى خدمة الاسلام .

انها مغالطة مكشوفة من الكاتب يوسف ادريس فى حق الشيخ والشيوخ بالازهر عامة بمقولته انهم تخلو عن دورهم الحيادى فى التصدى للظلم والخطا الذى يقع من الحكام . وفى هذا يقول الاستاذ عبد العزيز هيكل من رجال التعليم فى جريدة الجمهورية : وتلك دعوة جديدة لم تسمعها منه قبل عام ١٩٧٠ ، وهو يمارس مهنة الكتابة بدلا من الطب منذ اوائل الخمسينات ، وهو معذور فى ذلك لانه لم يحاول ان يعرف ، ولو حاول لكان له ما اراد لذلك نسوق الى الكاتب بعض الامثلة والنماذج من شيوخ العصر احديث .

فالشيخ عبد المجيد سليم شيخ الازهر هو الذى قال : تقتير هنا واسراف هناك فى مواجهة تصرفات الملك فاروق . وفقد نتيجة لذلك ، منصب المشيخة ،

والشيخ ابراهيم حمروش شيخ الازهر هو الذى اعلن الحرب المقدسة ضد الانجليز ، ودعا كل المسلمين الى المشاركة فى الحرب الفدائية بالسويس ، وفقد لذلك منصب المشيخة والشيخ محمد الخضر حسين شيخ الازهر هو الذى سبقه جهاده السياسى الى المشيخة الكبرى وآثر تركها حينما منعته ظروفه الصحية من الوفاء بالتزاماته

والشيخ محمود شلتوت شيخ الازهر هو الذى تحدى كل السلطات فى عهد عبد الناصر وعين عالما ازهريا فرضت عليه الحراسة لعضويته السابقة بمجلس النواب مع انه لا مال عنده ـ عينه مدرسا بمعهد القاهرة الدينى وحين قيل له ان المخابرات ستحتج عليه ... قال وماذا ستفعل المخابرات لى ؟؟

والشيخ عبد الحليم محمود شيخ الازهر هو الذى وقف ضد قانون تنظيم تعاطى الخمور الذى اقره مجلس الشعب فى عهد السادات .

وهو الذى وقف ضد ما رآه عبثا بشريعة الله فى قانون الاحوال الشخصية

وهو الذى وقف ضد اللقاءات الحربية التى وقعت على الحدود بين مصر وليبيا وطالب كل المسلمين بالعمل على وقفها فورا وله فى ذلك خطبة مشهورة من فوق منبر جامع الامام الحسين رضى الله عنه ودرس دينى فى نفس المسجد

ثم هو صاحب الوقفات البطولية ضد غزو الفكر الشيوعى .

والشيخ محمد متولى الشعراوى هو كل هؤلاء الشيوخ مجتمعين حينما يتفرغ للدعوة الى الله مفسرا للقرآن الكريم جامعا الناس فى كل بيت وناد ومقهى على مائدة كتاب الله « كتاب العقيدة والشريعة »

وانى لاشهد انى احسنت الظن يوما بالطبيب الكاتب يوسف ادريس .. ذلك حينما كتب منذ اعوام مقالا عظيما فى جريدة الاهرام يصف فيه نجاته ونجاة اسرته معه من حادث سيارة على الطريق الصحراوى فى سفر له الى الاسكندرية .

يومها انفجر احد اطارات سيارته فجاة وهو يقودها بسرعة كبيرة وطبقا لكل المقاييس الرياضية والعلمية كان لابد ان تنقلب السيارة عدة مرات ويتحول من فيها الى طماطم فعصتها « ست بيت » ماهرة فلم تبق من مائها شيئا فى جلدها

ولكن قدرة الله سخرت من كل هذه المقاييس فلم تنقلب السيارة وظلت تزحف حتى استقرت على الطريق سليمة من غير سوء ولم يصب الطبيب الكاتب ولا زوجه ولا اولاده باية رضوض او خدوش .

يومها قال الطبيب الكاتب يوسف ادريس فى

مقاله « لقد رأيت الله » وسعدت لما قرأت لكنه لم يلبث ان بدد لدى كل احساس بالسعادة بكلامه عن الشيخ الشعراوى ومحاولة تجريحه لابرز دعاة العصر .. مع اعلانه انه يدافع عن الاسلام !!

الاسلام دين سياسة
ومحاولة الفصل والانكار عبث

بعد هذه المواقف المعلنة التى اكتفيت بها ردا ودليلا على مزاعم الكاتب يوسف ادريس فى مقالته ، لا اعتقد انه يتجاهل ان الاسلام من أوله الى آخره سياسة ، سلس الحياة باكملها لسعادة الانسان ، فالدين الاسلامى هو الذى رسم الخريطة السياسية وبين مداخلها السليمة ومعارجها المعوجة .. لم يترك شيئا فى حياة الانسان الا ووضع لها الاسس الصالحة لتقويم حياته .. اما اقتصاديا ، او اجتماعيا او حربيا او عقائديا ، الى آخر فنون الحياة . بل هو نظام متكامل يجد فيه كل انسان حاجته أيا كانت هذه الحاجات ومدى تباينها بين الافراد والجماعات والقرآن شاهد عيان على ذلك .. اذ قطع فى الأمر بقول الله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » . وكلمة شىء فى اللغة العربية تفيد العموم ..

ويبدو ان الكاتب يوسف ادريس خانه الحظ ، ولم يحالفه الصواب فى البحث عن الحقيقة القرآنية الساطعة .. التى اوضحت ان الله سبحانه انزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووضع فيه نظاما متكاملا لحـياة الانسان .. ومن ابسطها ادب الحوار فى جزئية واحدة تبدو بوضوح فى قول الله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على أهلها ..) الى آخر هذه الآيات ، ..

هذه واحدة .. الم تكن تلك سياسة اجتماعية لنظام الاسرة والحرص على تماسكها .. بعيدا عن المدنية المزيفة .. مدنية العرايا والعراة .. حتى من ملابسهم ، فضلا عن التخلى عن عقيدتهم وايمانهم بالله وحده .. الم تكن هذه سياسة ايها الكاتب ؟

وفى الحروب آيات قرآنية تتحدث عن السياسة الحربية وكيف تكون العدة والعتاد .. ولنترك هذه الآيات القرآنية تتحدث لهؤلاء الكتاب المزيفين

الذين يريدون ضرب الحقائق الاسلامية فى مهدها .. كيوسف ادريس الذى اوحى اليه فكره بانه لا سياسة فى الدين ، ولا دين فى السياسة ، ويبدو انه اقتبس هذه النظرية حديثا .. يريد بها فصل السياسة عن الدين وراح يطالب الشيخ الشعراوى بتطبيق هذه النظرية الباطلة ..

ألم يقرأ يوسف ادريس القرآن ولو مرة واحدة .. ليهتدى بفكره من وحى آيات القرآن ؟ .. واعتقد انه لم يقرأ منه شيئا ؟ .. ماذا يقول الكاتب يوسف ادريس فى حديث القرآن الخالد الذى رسم سياسة الحرب لرسوله والمؤمنين .. آيات الله تتحدث فى سورة الانفال فى قوله تعالى جل جلاله : (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون) . (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون) . (فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون) . (واما تخافن من قوم خيانة ، فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) . (و يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون) .

(واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون) . (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم) (وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين) .

.. ألم يكف الكاتب يوسف ادريس ومن درج على منهجه هذه الآيات القرآنية حديثا .. لدحض باطلهم وزيف فكرهم الوضعى المرفوض ، حيث لا كلام ولا فكر .. مع حديث الله .. الذى تعلمناه من حديث القرآن .. فكل كلام وفكر يتعارض مع نصوصه الصريحة الواضحة باطل .. وضلال ....

فيايها الأديب .. ألم تكن هذه سياسة فى الدين

الاسلامى حكيمة ؟! .. ابعد هذا الكلام المحكم كلام ؟ .. وهل بعد حديث الله وآياته من حديث لبشر مثلنا ؟ .. هل يجدر بالكاتب بعد ذلك ان يقول لعالم جليل لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة .. ومكانه الوعظ وتفسير القرآن فحسب .. وانه لا يعمل بالسياسة ؟

.. كيف والشيخ واصل دعوته فى الاسلام من اولها الى آخرها سياسة .. ؟ ونحن نعلم ان محاولة الفصل هى دعوة استعمارية من قديم دعا بها ولا يزال لضرب الاسلام فى عقر داره .. وهى دعوة تحمل فى مفهومها نظرية (الدين افيون الشعوب) ..
ونتساءل : ألم يكف ان نقول للاستاذ يوسف ادريس : افق من غفلة فكرك الخيالى ، واقرا القرآن .. وتعمق فى فهم معانيه لتعيش مع الحقيقة الصادقة التى لا ياتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ـ لتكون ولو لحظة واحدة من عمرك صادقا مع نفسك ، ومع غيرك ، ومع الواقع المصرى الأصيل .. وحتى لا تكيل الاتهامات لخيرة العلماء جزافا .. ! !

وما الشيخ الشعراوى إلا واحد من خيرة هؤلاء العلماء الاجلاء .. ويكفينا ان نذكر انه عاش للدين داعية امينا .. وانه من عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .. وهو الرجل الذى جند حياته للعلم ونشره ، وله تلاميذ فى محراب العلم المقدس يعدون بالملايين .

اما انت ايها الكاتب المبتدع .. فاين مكانك الآن .. وتلاميذك جيل يعانى من التمزق نتيجة لثمرة فكر .. كل دعارة وعربدة .. وكفانا زيف وتشكيك فى ديننا علمائنا .

واما الشيخ الشعراوى فما هو إلا مؤمن .. يصلى ويصوم ويعبد الله وينشر هذه الرسالة الخالدة وما

جربنا عليه الوقوع فى مواطن الزلل واماكن الشبهات .. وهو الذى يتحدث بحديث الله سبحانه وتعالى (وإن يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين) ..

اما الكاتب زكى نجيب محمود فقد دخل المعركة وزج بنفسه فى موضع الدفاع عن فكر الحكيم .. بخبث الكاتب والمفكر الداهية فى مقالته المقترنة بادب الحوار وتقدير المفكر الفيلسوف استهلها بعنوان .. « وسيبقى الود ما بقى العتاب » ورغم حدة الحوار وما ترمز إليه مقالته بين سطورها من تجاوزات ولكن الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية .. رغم حدة الخلاف وبعد الشقة او قربها فى وجهات النظر .. وايضا رغم ما يبدو من سوء الفهم وعدم الرؤية .

ولو أن كاتبينا الكرام .. درسوا وتعمقوا فى الاسلام .. ودرسوا كتاب المراجعات فقط فى ادب الحوار للشيخ سليم البشرى شيخ الاسلام لاعادوا النظر فى كل ما كتبا من فلسفات ـ وقصص وروايات بمضمون ما يفيد منها وما لا يفيد ولاتجها باقلامهما وافكارهما مع تلك الصحوة الاسلامية التى يراد ضربها الآن من الخلف غيلة واغتيالا .. ولكانا والشيخ يدا واحدة على طريق الايمان . وجلوسا معا على مائدة الرحمن ..

فتداركا أيها الكاتبين الكبيرين ما بقى من عمركما وتوبا إلى الله توبة نصوحا .. والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والباب مفتوح الى يوم القيامة « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من عباده .. والله غفور رحيم » .

صدق الله العظيم

المؤلف

ولنا كلمة . عتاب !!

واذا كان لنا من وقفة وكلمة عتاب ولوم على استاذنا الكاتب العملاق توفيق الحكيم فى حديثه مع الله .. وما ذهب اليه من مذهب جديد فى الرؤية الفكرية .. يطرح به قضية دينية .. يصبغ عليها صبغة الرواية القصصية بمقولة تحقيقها من رجال الدين المتخصصين ، فهذا مذهبه وتلك رؤيته الفكرية الخيالية التى اوحت له بذلك .. وهذا حقه اذ لاحجر على فكر او رأى .

ولكن عتابنا الأشد ولو منا الأكثر غيرة على الدين الاسلامى .. نوجهه بصدق واخلاص الى علماء الأزهر ورجـال الدين المتخصصين الذين يبدو انهم قد تركوا ثغرات وثغرات حول قضية التحقيق والتنقية للتراث الاسلامى ، ولا اعتقد انهم يجهلون ماأصاب الاسلام وتراثه ببلاء الاسرائيليات الدخيله على الدين ، وانهم يعلمون ان كتب التراث الاسلامى مليئة بحشو من الاراء التى لافائدة منها بل ضررها للدين الاسلامى اشد من نفعها .

ولا اظن ان بعض علماء الازهر الشريف قد قصروا فى تحقيق كتب التراث الاسلامى او بعضا منها لابعاد هذا الحشد الهائل من الاسرائيليات والاراء الموضوعة فى كتب مستقلة كمراجع للوقوف عليها دون نشرها بين المسلمين يوما ..

حتى لا تحدث الأخطاء وحملات التشكيك بين افراد المجتمع المسلم ... حيال هذا التراث العظيم الخالد .. وحتى الذين حاولوا منهم كشف الاسرائيليات المدسوسة التى اصابت بحشوها كتب التفسير والحديث لم يراعوا هذه المسألة من حيث التدوين ووضعها فى كتب مستقلة اكتفاء بما صح من أراء وتفاسير قد يلجأ اليها بعض الكتاب العصريين فى استدلا لاتهم بصورة خاطئة تسىء الى ائمة وعلماء بذلوا جهدهم وادلوا بحصيلة اجتهادهم فى مختلف العلوم الدينية ويتهمون بالتقصير فى الاجتهاد وقصر الرؤية فى اراءهم واجتهادهم فى الدين الاسلامى .

والاسلام لا يتحمل تبعة الراى والاجتهاد ليجعلها فريضة على المقلدين من اهله .. بل ان قضية الاجتهاد مفتوحة لكل عالم

متخصص اذا توافرت فيه شروطه من حيث الصلاح والحفظ ، وان يكونوا عدولا ثقات الى آخر ما ورد من شروط في هذا الشان لعلمائنا ألقدامي فضلهم الكبير على الاسلام والمسلمين بما وصلوا اليه من اجتهاد في الدين ولهم من الله في ذلك الاجر والثواب .. وقد علمنا من هذا الدين ان للمجتهد ان صح اجتهاده واصاب اجران ، وان اخطا فله اجر واحد .

ولا اظن ان علماءالدين الاسلامي بالازهر الشريف في عصرنا الحديث يجهلون هذه القضية ـ قضية الارشاد السليم والتوجيه الصحيح للمسلمين جميعا ، وللناس كافة فهم قدوة ومسئولون عن هذا التراث الذى هو في حاجة ماسة الى تحقيق دقيق ، وعميق ليسدوا هذه الثغرات ، التي ربما ينفذ منها بعض كتاب الرواية الخيالية .. لنشرها بين المجتمع المسلم والتي في الغالب الكثير تشككهم في دينهم وكتب تراثهم الاسلامي بما حوت من تفاسير وآراء هي في مجموعها او مضمونها اجتهادات شخصية فحسب .. وليست مفروضة على المسلم ..

قال الامام مالك رضي الله عنه .. احد الائمة الاربعة المجتهدين : (هذا رايي واجتهادى في ديني فان رايتموه حسنا موافقا للكتاب والسنة واجماع الائمة فخذوا به وان كان غير ذلك فلا تاخذوه فهو ليس بحجة مفروضة عليكم) .

ويبين من هذا ان ما لجأ اليه الاستاذ توفيق الحكيم من استدلال بآراء وتفاسير في قصة سيدنا يوسف عليه السلام ليدعم بها حديثه مع الله ..

انما هو استدلال خاطيء واجتهاد مجتهدين ليس بحجة في الدين والاسلام بل هي تفاسير في القرآن د خيلة ومدسوسه ، بل وضعيفة .. لا يؤخذ بها ابدا في الاسلام .. وما الحكيم الا ناقل ساق الينا آراء لها الفاظ تتنافى مع مقام النبوة والانبياء معصومون من الوقوع فيها ولايصح أن يقال أن سيدنا يوسف عليه السلام .. جلس منها مجلس الرجل .. او خلع سراويله .. إلى آخر ما سرده الحكيم في رده وتعليقاته على رجال الدين .. اذا ان هذا التفسير لا يستسيغه عاقل او عامي أو جاهل بالدين ، فكيف يقبله رجال متخصصون .. ؟ ولماذا استدل الحكيم بالقرطبي دون غيره من التفاسير الأخرى ؟ !

وان كانت ملاحظاتنا عليهم تحمل فى مضمونها العتاب واللوم فى التحقيق والتدقيق وفصل التفاسير الضعيفة والموضوعه .. من الصحيح فى كتب مستقلة للوقوف عليها ، حتى لا يقع المسلمون فى اخطاء خطيرة تصيبهم فى دينهم .. كما وقع كاتبنا العملاق فى اخطاء نشرها ونقلها بين الناس حتى اثارت الشكوك والبلبلة وغضب الراى العام المصرى ، كما اثارت حفيظة وغضب رجال الدين فى مصر بل رجل الشارع ، واخذت تلوكها الالسن ما بين لافظ لها اصلا ، وما بين مؤيدلتوفيق الحكيم ، وما بين دارس لفكرة وما اورده من تفاسير فى قصة سيدنا يوسف عليه السلام وما بين واجم ومذهول رافض لهذا التفسير الذى اورده الحكيم ، وما بين من كان له وقفة مع الحكيم فى حديثة مع الله ، وكلمة عتاب مرة على محاولته صياغة الدين باسلوب الرواية الخيالية .. الى اخر همسات الغضب المعلنه وغير المعلنة ..

وتوالت التعليقات والردود منذ البداية لنشر حلقات الحديث على صفحات الجرائد المتخصصة وغيرها من الصحف القومية ..

ويليتها مّن وقفة دينية .. كان يجب على الرجل الحكيم ان يقف بعدها عند تخصصه . فى الرواية الخيالية ، والقصة لا تعتمد الا على سبحات فكر فى الخيال يحمل فى معالجاته كلها خيالا فى خيال لا واقع له احيانا بل فى الغالب الاعم .. وعلى كل فان التبعة على صاحبها وحسابه على ربه ..

وهذه كلمة حق ، وعتاب صدق ، ووفاء بالعهد الالهى المفروض على كل عالم ومسلم ، وعهد الله الواجب الوفاء به ، دين علينا ، ومن الوفاء بالعهد ان نتقن العمل فى ديننا ، ونراعى الله فى ضمائرنا ..

وعهد الله الواجب الالتزام به .. هو من صفات الرجال المؤمنين .. وصدق الله العظيم اذ يقول ..

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »

صدق الله العظيم

الله ـ حقيقة موجودة
وليس فى حاجة إلى إثبات

وكلمة اخيرة نسجلها لاستاذنا الحكيم الذى تراجع عن رأية القائل فيه :« ان العلم يؤدى الى معرفة الله » وقال كلمة صريحة تعبر عن هذا التراجع هي : (إن العلم لا يؤدى إلى معرفة الله)

واعتقد ويعتقد معى غيرى من ذوى الراى والفكر ومن بينهم كاتبنا الحكيم : ان اى علم يعتمد علماؤه فى ابحاثهم على المادة فى اثبات وجودالاشياء .. خاصة ما يتعلق بوجود الله او العقيدة للتوصل الى معرفة الله .. فهو امر قاصر ومحدود بحدود العقل البشرى الذى إن تجاوزها عقل مفكر ماهلك وتاه فى متاهات المنهج العلمانى او العقلانى المادى ليصل به اما الى شكل فى نظريةالاثبات ذاتها التى تدخل بالانسان الى نظرية التسلسل والبحث لمعرفة ما وراء الطبيعة .. وربما يصل به الأمر .. الى الشرك المطلق .. او الايمان المطلق العميق بالله ..

ومن هذه الخطورة فإن العلم لا يكفى فى معرفة الله .. فالله حقيقة واقعة وقائمة وموجودة وليس فى حاجة إلى علم مادى يثبت وجوده سبحانه فالآيات الكونية .. كالسماء التى اقيمت بلا اعمدة ، والشمس والقمر والانهار والبحار والجبال التى نصبت والارض التى سطحت والانسان نفسه والابل وكيف خلقت والحركة ذاتها الى آخر ما قصه القرآن الكريم من معجزات خارقة .. دالة على وجود الله سبحانه وهيمنته على هذا الوجود بما خلق فيه واوجد فيه من خلائق .. وصدق الله العظيم إذ يقول فى كتابه « وفى انفسكم افلا تبصرون » ..

ولو نظر إنشتين او كاسلر ومن كان على منهجه العلمانى المادى وكرسوا جهدهم وركزوا فى ابحاثهم على معرفة النفس الانسانيه وانفسهم لاستراحت ضمائرهم ولتفادت عقولهم . هذه الحيرة وذلك الشك المريب الذى عاش مفكرون كثيرون كالحكيم وغيره فى بداية حياتهم الفكرية ..

والقرآن الكريم يتحدث ويذكرنا جميعا المسلم وغير المسلم لانه رسالة الله فى الارضه يخاطب الناس جميعا .. فماذا يقول الله سبحانه وتعالى فيه (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت ،

فذكر انما انت مذكر لست عليهم . بمسيطر ، الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر إن علينا إيابهم ثم ان علينا حسابهم »(٢)

● ● ●

اعتـــذار !

ونسجل فى النهاية لاستاذنا العملاق توفيق الحكيم صاحب الرؤية الصائبة اعتذاره لربه فى حلقته الثالثه لحديثة مع الله .. الذى استهله فى بدايتها بقوله : « اخطأت يارب فى حق الذات العليه .. ولكنها مناجاة المخلوق للخالق .. ونسال له الله سبحانه الهدى والغفران .

وشكرا لتوفيق الحكيم .. فى عدوله عن حديثة الى الله .. الى حديث مع نفسى .. وهذه قمة الاعتراف بالحق فضيلة .. وفى خبث المفكر الظريف وذكاء الداهية يقول فى احد حلقات حديثة ومع ذلك التمس منك المغفرة لمن ظلمنى ولى اذا كنت سهوت او اخطأت وانت الغفور الرحيم ..

ولولا اننى اعددت الكتاب وبذلت الجهد فيه منذ بداية الحديث مع الله .. هذا ولانى لا اعلم الغيب ، ولو كشف عنى الحجاب قبل تراجع الحكيم بجعل حديثة مع نفسه .. لتراجعت وعدلت ايضا عن فكرة الكتاب وطبعه ..

ولكنه كتاب دخلت اوراقه المطبعة قبل عدول الحكيم وتراجعة .. فمعذرة استاذى الحكيم وغفر الله لى ولك آمين ..

● ● ●

● اقرأ فى هذا الكتاب :

ـ قضية تحمل الضلال والاضلال
والدعوة الاسلامية الغيوره لمناقشة الذين ينشرون افكارا خاطئة عن هذا الدين الحنيف ..
لفضيلة العالم الجليل والمفكر الاسلامى الكبير الشيخ محمد متولى الشعراوى الذى يقول ..
« ان ما يقوم به الحكيم ، ويوسف ادريس وزكى نجيب محمود .. لا يمت الى الحق بصلة ، ولا الى الفكر الاسلامى الصحيح .. »
ـ ورأى مجمع البحوث الاسلامية للدكتور الحسينى هاشم امين عام المجمع بالازهر الشريف .
ـ والدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الازهر .
ـ فضيلة الشيخ محمد الغزالى .. والاسلام يحارب من الشيوعية وخمس جهات اخرى .
ـ وآراء مختلفة لكبار علماء الازهر والكتاب والمفكرين الاسلاميين .
● وللمؤلف لمسات اين لام راحله المقدمة وتمهيد .. ونصيحة للرأى الاخر .. وانصروا الحكيم ظالما .. ولنا كلمة عتاب ! ! والخشية من الله والتفسير الصحيح وآراء اخرى حول ما كتبه توفيق الحكيم فى حديثه مع الله .. ثم الى الله .. داخل فصول الكتاب .. ! !

(١) الآية ٢٢ ـ سورة الاحزاب
(٢) الآيات ١٧ ـ ٢٦ سورة الغاشية

اقرأ هذا الحوار عند الليل

مساء الخير

مساء النور

أنا معايا قرشين وعاوز أستفيد بيهم ؟

اشترى بيهم شهادات ادخار

الشهادات فى السوق كتير وعاوز احسنها ؟

فيه شهادات اصدرتها مجموعة البنوك الوطنية للتنمية بفئات ١٠٠/٥٠٠/١٠٠٠/٥٠٠٠ جنيه .

والفرق إيه ؟

أنها تعطى اكبر عائد ومدتها ثلاث سنوات ويصرف العائد كل ستة اشهر ومقداره عن السنة الأولى ١٠,٥٪ وعن السنة الثانية ١١,٥٪ وعن السنة الثالثة ١٦٪ ولك الحق فى استردادها فى اى وقت بكامل القيمة ولو بعد صرف اى كوبون .

يعنى إيه ؟

هذه ميزة لك فهناك شهادات إذا استرديت قيمتها قبل انتهاء الموعد المحدد لها يخصم جزء من أصل القيمة . كما انه يمكن لك الاقتراض بضمانها باقل سعر فائدة معلن من البنك المركزى المصرى وهذه الشهادات ربحها معفى بالكامل من الضرائب كما وان قيمة الشهادات المشتراة حتى مبلغ ثلاثة آلاف جنيه تخصم من وعاء ضريبة الايراد العام .

إيه كمان ؟

لو كنت فى اى مكان بالجمهورية وعاوز تشترى شهادة تخص بنك محافظتك فان اى بنك من المجموعة الوطنية للتنمية يمكنه ان يصدر لك شهادة باسم بنك المحافظة التى تتبعها دون تقاضى اى عمولات . وعلى فكرة الشهادات التى تشتريها من بنك محافظتك بتتخصص حصيلتها لتنمية المحافظة وتمويل المشروعات التى تنشأ فيها . وبكده فانت تساهم فى تقدم محافظتك ورفع مستوى المعيشة بها وإيجاد مصادر عمل لاهل بلدك .

ولو كنت عاوز عائد شهرى ؟

سهلة اوى افتح حساب جارى واطلب من البنك إيداع الشهادات فى ملف باسمك والبنك سيقوم بتحصيل الفائدة وإيداعها بحسابك عند الاستحقاق . من هذا الحساب تصرف شهريا او فى اى وقت حسب ظروفك .

ولو كنت بالخارج وعاوز أشترى شهادات ادخار البنك الوطنى للتنمية .. ؟

عليك بارسال شيك بالقيمة وبيان باسمك وعنوانك وفئات الشهادات المطلوبة والبنك سيقوم باللازم .

وهذه هى عناوين البنوك الوطنية للتنمية :

البنك الوطنى للتنمية ـ القاهرة

الفروع :

أ ـ الفرع الرئيسى : ٥٠/٤٨ شارع عبد الخالق ثروت ـ القاهرة ت ٩٣٣٣٣١ / ٩٣٣٥٥٩ / ٩٣٢٢٢٨

ب ـ فرع الأزهر : ٨٤ شارع الأزهر عمارة ميتكيس ت ٩٠٧١٣٦

ج ـ فرع الزمالك : ١٤ شارع الصالح ايوب الزمالك ت ٨٠١٩٨٩

د ـ فرع باب اللوق : ٤ ميدان الفلكى مبنى الغرفة التجارية ت ٢١٩٦٥

هـ ـ فرع حلوان : ٣ (١) ش القبلى ـ حلوان امام كبريتاج حلوان ت ٦٣٤٤٧٥

بنك الغربية الوطنى للتنمية :شارع الجيش ـ طنطا ت ٦٧١٥٥ / ٠٤٠

بنك كفر الشيخ الوطنى للتنمية : ٨ شارع صادق عقل كفر الشيخ ت ٢٦٠٧

بنك بورسعيد الوطنى للتنمية : عمارة برج الخليج ـ شارع الجمهورية . بورسعيد ت ٦٦/٢٧٦٤٠ .

بنك المنيا الوطنى للتنمية : شارع كورنيش النيل ـ مبنى مجلس المدينة ت ٤٥٩٧ ـ كيس بريد المنيا .

بنك الشرقية الوطنى للتنمية : ٤٣ شارع اللواء عبد العزيز على ـ الزقازيق ت ٣٢٢٣ ص . ب ٢٦٩

بنك أسيوط الوطنى للتنمية : ٢ ميدان سعد زغلول / اسيوط ت ٣٤٧٥ / ٠٨٨

بنك الجيزة الوطنى للتنمية : ١١٤ شارع التحرير / ميدان الدقى جيزة
ت ٨٤٧٨٤١ / ٧١٢٠٦٠ / ٧١٢١٥٨

بنك الفيوم الوطنى للتنمية : عمارة الانشاء والتعمير ـ شارع طريق مصر
الفيوم ت ٢٢٨٢

بنك البحيرة الوطنى للتنمية : عمارة بلبع ٥ شارع حسن البنا ـ دمنهور
ت ٣٥١٩ / ٠٤٥

بنك القليوبية الوطنى للتنمية : ملحق مبنى الحزب الوطنى ـ كورنيش
النيل ـ بنها ت ٣١٩١/٣٠٩١/٣١٣٤٥
/ ٠١٣

بنك سوهاج الوطنى للتنمية : مدينة ناصر ـ ص . ب ٤٦ سوهاج
ت ٠٩٣/٢٣٨٥٠ .

بنك الاسماعيلية الوطنى للتنمية : مبنى محافظة الاسماعيلية ـ
الاسماعيلية ت ٧٦٨٩١١

بنك دمياط الوطنى للتنمية : مبنى المحكمة القديم ـ كورنيش النيل
ص . ب ٦٤٧ دمياط ت ٥٥٩٥

بنك شمال سيناء الوطنى للتنمية : شارع الشباب والرياضة
ص . ب ٨٠ العريش

ـ طيب محافظتى مافيهاش بنك وطنى للتنمية .. أعمل إيه ؟
يمكنك الشراء من اى بنك وطنى للتنمية آخر وفى حالة تاسيس بنك فى محافظتك سنحولها إليه .
احتفظ بهذا الحوار وبعدين تعرف وتكسب .

سؤال أخير وليه أقرأ هذا الحوار عند الليل ؟

احتفظ بهذا الحوار وبعدين تعرف وتكسب .

رقم الايداع
٨٣/٣٣٨١
دار الكتب القومية
القاهرة


مصانع الشريف للبلاستيك
رواد صناعة الأدوات المنزلية

